”من الصعب
ألا يشعر المرء بالألم
الذي كابدوه حال قراءته
كتاباتهم.“

**د. مهاتير محمد**، رئيس وزراء ماليزيا الأسبق

”مذكرات الأسرى سلسلة كتابات تحرك المشاعر يرويها سجناء فلسطينيون تحملوا صنوف العذاب لعقود في ظلام شبكة سجون إسرائيل غير الشرعية واللاإنسانية.

تمكننا هذه النصوص من الشعور بالواقع الفلسطيني إلى حد ما، وتوفر لنا فهماً للمعاناة المرتبطة بالعيش في ظل احتلال مهين طويل الأمد بطريقة حية لا يمكن للإحصائيات حتى أن تحققها مهما بلغت من إتقان.

يجمع هذا الكتاب في طياته ما شهده الأسرى بأم أعينهم حول نظام السجون الإسرائيلية الهائل بطريقة تكفي لإعطاء القارئ فهماً متكاملا لأبعاد المحنة الفلسطينية الأكثر ألماً.

يشعر المرء لدى قراءته هذا الكتاب بالتشكك حول ما إذا كان ينبغي أن يعامل هؤلاء الأشخاص الذين قاوموا الاحتلال لبلدهم كمجرمين، بدلاً من أن يعاملوا كمحاربين شجعان في حرب متواصلة ومشروعة ضد غرباء لاستعادة السيطرة على وطنهم.“

– **ريتشارد فولك**، أستاذ مشارك في القانون الدولي، جامعة برينستون، ومقرر الأمم المتحدة الخاص للأراضي الفلسطينية المحتلة.

”كتاب إنساني، جميل وقيم على الرغم من الألم الذي يحتويه. أطالب جميع أصحاب الضمائر الحية أن يقرأوه ليعرفوا المزيد عن معاناة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.“

– **هناء شلبي**، مضربة سابقة عن الطعام، سجن هشارون، تل أبيب.


الناشر
**الدار العربية للعلوم ناشرون**

بالتعاون مع
CPDS
مركز الدراسات السياسية والتنموية
Centre for Political & Development Studies
Gaza, Palestine

أصوات
فلسطينية
من المعتقلات
الإسرائيلية

# مذكرات الأسرى

إشراف نورما هاشم و يوسف الجمل

CPDS
مركز الدراسات السياسية والتنموية

مذكرات الأسرى
أصوات فلسطينية من المعتقلات الإسرائيلية
نورما هاشم و يوسف الجمل

٤٣ صوتاً تصدح عبر هذه المذكرات، ثلاثة وأربعون صوتاً يتمنى الاحتلال الإسرائيلي لو أُخمدت. أصوات رجال ونساء فلسطينيين تحملوا كافة الندوب الجسدية والنفسية في سجونهم، ورفضوا البقاء صامتين.

على الرغم من أنهم تشاركوا عذاب الانفصال عن أحبائهم وسوء المعاملة المتكرر من حراس السجون، كل أسير منهم يتحدث بصوت مختلف تماماً، ولا يتحدث عن معاناته فقط بل عن إيمانه وأمله وقدرته على التحمل.

نُسجت هذه المذكرات جنبا إلى جنب مع إيضاحات من صحفيين وناشطين كرسوا حياتهم لفضح الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان والتي نادراً ما تغطيها وسائل الإعلام الرئيسية. هذه الروايات لحياة داخل السجون الإسرائيلية من الواجب أن يقرأها أي شخص يطالب برؤية جانبي الصراع المأساوي.

**نورما هاشم** ناشطة اجتماعية معنية بشكل أساس بمشاريع محو الأمية، أمينة خزينة منظمة «فيفا بالستينا» في ماليزيا، وأم لخمسة أبناء.

CPDS
مركز الدراسات السياسية والتنموية
نشر ثقافة المواطن الصحفي
بين الشباب الفلسطيني

# مذكرات الأسرى

# مذكرات الأسرى

## أصوات فلسطينية من المعتقلات الإسرائيلية

**فكرة وإعداد: ياسر البنا**

بدأ الصحفي ياسر البنا في إعداد كتاب «مذكرات الأسرى» بعد سماعه لشهادات مروّعة رواها الأسرى الذين أفرجت عنهم إسرائيل خلال صفقة تبادل الأسرى مع حركة حماس، المعروفة باسم صفقة شاليط، في ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١١.

والصحفي البنا من مواليد ١ ديسمبر ١٩٧٦، ويعمل في مجال الصحافة منذ بداية عام ٢٠٠١، وسبق أن عمل مراسلا لموقع «إسلام أون لاين»، ومديرا لتحرير صحيفة «فلسطين» اليومية الصادرة من غزة. ويعمل البنا حاليا مدير لمكتب وكالة الأناضول للأنباء التركية في قطاع غزة.

وقرر البنا إعداد الكتاب بطريقة تختلف عن الطرق التقليدية، حيث استمع هو وفيحاء شلش، رشا فرحات، سماح المزين، هيثم غراب، معاذ العامودي، حنان مطير، محمد المنيراوي، خالد كريزم، ومها شهوان لشهادات الأسرى، ثم أعادوا صياغتها على ألسنتهم، معتمدين أسلوب «أدب المذكرات».

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

نشر وتوزيع:
الدار العربية للعلوم (ناشرون)
بناية الريم، شارع ساقية الجنزير، عين التينة، ص ب 13-5574
بيروت-لبنان
هاتف: 785107 / 785108 / 78623 / 860138-(9611+)
فاكس: 786230 (9611+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

مدونة الكتاب: http://theprisonersdiaries.blogspot.com

حقوق النشر محفوظة لمركز الدراسات السياسية والتنموية © ٢٠١٤
حقوق النشر محفوظة. لا يجوز إعادة طباعة هذا الكتاب بأي شكل، سواء كله أو جزء منه أو بأي وسيلة من دون الحصول على إذن الناشر.

كل المذكرات نشرت بعد الحصول على إذن المالكين، كما أن كل الصور والتوضيحات ملك لأصحابها.

Body that issues ISBN

ISBN 978-983-43538-7-2
حقوق الإنسان - السياسة

تحرير: ياسر البنا
تصميم وإخراج: Red Bamboo Creative Sdn Bhd, Malaysia
طباعة: Printer name
رسم الغلاف: Foong Teck Hee http://creativetrees.blogspot.com

إهداء إلى كافة الأسرى الفلسطينيين
في سجون الاحتلال خاصة المضربين عن الطعام
والمرضى وكبار السن والأطفال والنساء ولكل
المحررين الذين أفرج عنهم

لوحة للأسير المحرر المضرب عن الطعام سامر العيساوي
بأنامل «شهد أبو سلامة»

# المحتويات


تمهيد ..... 9
تقديم ..... 11
مقدمة ..... 13
مؤسسة الضمير لدعم الأسرى وحقوق الانسان ..... 19
ملاحظة ..... 20
متناقضات تتعايش وزيارات العذاب ..... 21
كانتزاع الروح أو أقسى ..... 25
جائعون للحرية «١» ..... 28
جائعون للحرية «٢» ..... 30
وقتلتني الذكريات ..... 32
ورحل الصدى! ..... 34
فوق صفيح الألم! ..... 36
سُرقت نوتة المذكرات، وسكنت بي الأطياف والصور! ..... 38
حقائق وأرقام عن الأسر ..... 43
البطلة زوجة البطل ..... 45
ذكريات لا زالت تؤلمني ..... 47
وبشر الصابرين ..... 49
صمود رغم الألم ..... 51
مثقلاً بعزلتي ..... 54
بين العتمة والعتمة ينسل ضوء الحرية ..... 56
أكتاف الرجال ..... 59
سجالٌ مع ضابط الشاباك: وذكرياتٌ من «مقابر الأحياء»! ..... 61
يوم تبعثرت الفلذات! ..... 65
حقائق وأرقام عن الأسر ..... 69
قلبي معلق ما بين السجن و الكعبة المشرفة ..... 71
القمعات ..... 73
الحلم كان زورقاً يحملني صوب حبيب الروح! ..... 75
فدائية رغم أنفهم ..... 78

في السجن ذكرى الصَّبر وقشوره ..... 81
ولن أوفيكما ذرّة ..... 85
إبتسامة ..... 87
ألم بأمل ..... 90
شاهد على الموت ..... 92
حقائق وأرقام عن الأسر ..... 97
حجر نرد ومقامرة ..... 99
أستنشق الذكرى ..... 101
أطروحة الداء ..... 103
امرأة وحدها ..... 105
جذور القسام أنا ..... 107
عتمة الزنزانة ..... 109
حين يسرجها دمي! ..... 114
حقائق وأرقام عن الأسر ..... 117
«جلبوع» خط أحمر ..... 119
«حين غادرتني الحنون» ..... 122
وداعًا أصدقاءَ المعتقل ..... 124
الباقي: نصفُ جسد ..... 126
لم يكن حلمًا إذًا ..... 131
أحنّ إلى عطرها! ..... 133
ليتني كنت مكانك! ..... 135
وشدّتني «أوجاع» الحرية ..... 139
سراديب الأمل ..... 141
رسالة الأسير حسن سلامة ..... 143
مركز الدراسات السياسية والتنموية ..... 146
شكر وعرفان ..... 149
شكرٌ وعرفان لأصحاب الصور ..... 150

# تمهيد

كتاب يختلف عن باقي الكتب , هو تجميع لكتابات الأسرى الفلسطينيين الذين أفرج عنهم، يعبر عن ألم ومعاناة أسرى منسيّين، أسرى دون أمل، وأسرى آخرين لن ينالوا الحرية وسيموتون في زنزاناتهم.

انه لصعب أن نصدق بأن هذا يحدث في عصرنا الحالي. نـحـن نعيش في عصر الحرية، عصر لا يزال يطالب فيه الأحرار بمزيد من الحرية وهم لا حرية لهم على الإطلاق. هؤلاء الأسرى يستطيعون بالكاد التحرك داخل زنزاناتهم القابعين فيها، يستطيعون بالكاد تحريك أجسادهم وأطرافهم. وأسرهم ليس لجرم ارتكبوه بل هو نتاج سعيهم كالآخرين لتحرير بلادهم.

من الصعب ألا يشعر المرء بالألم الذي كابدوه حال قراءته كتاباتهم، من غير العدل أن يعانوا هم بينما نستمتع نـحن بحريتنا . انهم يعانون بشدة.

إذا لم نستطع فك أسرهم، فأقل ما يمكننا فعله هو إخبار العالم عنهم. لربما استطعنا تحريك ضمير العالم حتى يفعل لهم شيئا يجعل الحضارة لدينا متحضرةً بالفعل.

**د. مهاتير محمد**

رئيس وزراء ماليزيا الأسبق

# تقديم

د. وليد المدلل، رئيس مجلس الإدارة

قضيتهم أكبر من أن تختصرها الكلمات أو تعبر عنها أبلغ العبارات، فوراء قضبان السجن رجال ونساء وأطفال اختلطت حبات عرقهم ودمهم بتراب الوطن، فعشقوه وفدوه بماء العيون، فأضحوا عنوانا للكبرياء والثورة، وأيقونة للحرية والأمل بوطن حر كريم. هم الأسرى الفلسطينيون الذين تقدموا الصفوف، وفجروا الطاقات الكامنة وجعلوا غير الممكن ممكناً، والصعب سهلاً، والحلم إنجازاً، والخيال واقعاً، والقول فعلاً، والأمنية حقيقة. فهؤلاء القادة هم قادة الفعل وحراس القيم وملح الأرض الذي لا يفسد، الذين أراد الاحتلال أن يغيب أجسادهم لتغيب ذكراهم في قبور الأحياء وزنازين العتمة والنسيان، عله يشطب ذكراهم ويدفن أسرارهم والحلم الذي قاتلوا من أجله، وضحوا في سبيله.

نحن هنا لسنا إزاء مناضلي منابر، بل أمام أسرى أبطال سطروا صفحات البطولة من قلب زنازين الاحتلال وظلوا أنقياء جامحين مقتحمين، لم يتعبهم السفر الطويل ولا عتمة الزنازين، مناضلين امتلأو بالعطاء والفداء والإيثار، وما انفكوا رغم قسوة السجن والسجان، شامخين كسارية فوقها رايات الوطن خفاقة، حكاية هؤلاء الأبطال حكاية من يتقدم الصفوف حد الاحتراق، وسيرتهم وكلماتهم نورا ينير طريق السالكين إلى الحرية والانعتاق.

الأسرى الفلسطينيون نتيجة حتمية وضريبة مفروضة ورمز شامخ لقضية شعب يناضل لاسترداد حقوقه المغتصبة في الحرية والاستقلال والسيادة والعودة، ما يجعل مسعى تحريرهم أو معاملتهم كأسرى حرب أو حتى تحسين شروط عيشهم، مسألة نضالية بكل المعاني وعلى المستويات كافة، ومنها محكمة الجنايات الدولية، ما يفرض أن يكون التحرك السياسي لمصلحتهم وطنياً موحداً وخارج حسابات السياسة الضيقة، واستراتيجياً لا تكتيكياً، ودائما لا موسمياً، ومخططاً لا ردة فعل على تصعيد التنكيل بهم.

لقد آمن هؤلاء الأبطال أن طريق الحرية ليس مفروشا بالورود، بل هو طريق الآلآم المخضب بالدم، الذي يوصل لفلسطين ويستعيد الكرامة الإنسانية من بين أنياب العدو وآلته الحربية الهمجية، إن الذي تسلح بكل هذا الإيمان وبعزم لا يلين هو الأقدر على تحقيق الآمال وتحرير الأوطان.

إننا في هذا الكتاب وغيره من الكتب التي نعكف على إصدارها لنهدف إلى إبراز فرادة هذه التجربة وطليعية دورها وجوهرية مساهمتها في الكفاح الوطني بوصفها خندقاً متقدماً لثقافة المقاومة وبنيتها، وبكونها اشتباكاً يومياً ومباشراً وتفصيلياً مع أكثر أجهزة المحتلين الأمنية والإدارية تطرفاً وسادية وعنصرية.

وبينما يستمر العدوان الصهيوني على أهلنا في الأرض المحتلة دون اعتبار لقوانين دولية ولا إرادة أممية ولا حقوق إنسان، فإن الأسرى الأبطال خاضوا ويخوضون معارك الحرية لا يردعهم همجية المحتل ولا ما يجدونه من لأواء في سبيل تحقيق حلمهم بالحرية والانعتاق، مؤمنين بأن الحقوق تنتزع ولا توهب، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن تجارب الأيام أثبتت أنه ليس لمحنتنا كاشف إلا الله ثم سواعد أبنائنا وإخوتنا ومحبي الحرية في كل مكان، وليس ألاعيب السياسية التي أدخلتنا في نفق المساومة والاستجداء على الحقوق والمقدسات، وحرية أسرانا الأبطال.

أيها الرجال الأشداء، أيتها الماجدات في زنازين الظلمة، إرفعوا رؤوسكم عاليا، يا من قلوبنا تسافر إليكم كل يوم، حقكم علينا أن نبقى أوفياء لما ناضلتم من أجلهم وتجشمتم ما لا يطاق في سبيله، عهدا علينا ألا ننساكم وألا نتخلى عن مسؤلياتنا تجاهكم، إلى أن يأتي اليوم الذي تعانقون فيه الوطن وتتنسمون فيه شمس الحرية، فليس بعد ليل طويل إلا نور فجر يتسامى.

العاشر من مارس، ٢٠١٤

# مقدمة

رمزي بارود

وجد رائد أبو حماد ميتا على أرض زنزانته في سجن إسرائيلي في نيسان/أبريل عام ٢٠١٠. يذكر أن رائد كان مريضا، وعلى الرغم من ذلك تم إبقاؤه في الحبس الانفرادي. وفاة شاب يبلغ من العمر ٢٧ سنة أثارت اهتمام نسبة ضئيلة من الإعلام. طالب عيسى قراقع، وزير شؤون الأسرى في «حكومة الرئيس الفلسطيني محمود عباس المدعومة من الغرب» كما ذكرت صحيفة هآرتس اليومية، بتحقيق فوري[1] من سلطات السجون الإسرائيلية التي بدورها قدمت القليل على سبيل التوضيح. وكما ظهر الخبر الذي عدّوه تافها فجأة، اختفى فجأة.

موت رائد بطبيعة الحال، ليس بداية ولا نهاية فصل مؤلم جداً في رحلة المقاومة الفلسطينية. فهناك آلاف من المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والعديد منهم رهن الحبس الانفرادي بتهمة مقاومة السياسات الوحشية للاحتلال الإسرائيلي والسعي نحو الحرية والدفاع عن شرف أسرهم وشعبهم. ومع ذلك، يظل هؤلاء مجهولي الهوية والاسم بالنسبة لوسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية. لكنهم يمثلون للشعب الفلسطيني خيرة المقاتلين الساعين لدحض الظلم، ونقيض تام لحفنة السياسيين القائمين على مصالحهم الشخصية، وأكثر من ذلك بكثير.

في صفقة تبادل الأسرى ١٨ أكتوبر ٢٠١١ التي شهدت إطلاق سراح جلعاد شاليط، الجندي الإسرائيلي الوحيد الذي تم أسره في غزة، تم الإفراج عن ١,٠٢٧ أسير فلسطيني في مرحلتين. هؤلاء الأسرى كان أن تخلصوا من قيد زنزاناتهم الضيقة ليجدوا انفسهم مقيدين في سجن أكبر، ممزقين ما بين الضفة الغربية، القدس الشرقية، وغزة التي ترزح تحت حصار قاس منذ عام ٢٠٠٧، ويفصل بينهم جدار الفصل العنصري المتنامي والمدعم بنقاط التفتيش العسكرية. وبدل أن يجدوا أحضان عوائلهم المحبة، وجد الأسرى حكماً جديدا بالسجن وراء جدار جديد أو في الجانب الآخر لنقاط التفتيش العسكرية.

اعتقل الجيش الإسرائيلي العديد من هؤلاء الأسرى مرة أخرى وبصورة غير قانونية، بينما تابع الآخرون عيش حياتهم على قدر المستطاع.

هناء شلبي كانت واحداً من هؤلاء الأسري الذين أفرج عنهم. وقصتها تمس شغاف القلوب. أمضت هناء ٢٤ شهرا في سجون الاحتلال تحت ما تسميه إسرائيل «الاعتقال الإداري»، وهو نظام شديد الغرابة يمكن إسرائيل من اعتقال النشطاء السياسيين الفلسطينيين إلى أجل غير مسمى بدون تهمة أو محاكمة. ثم تم إطلاق سراحها في تشرين أول/ أكتوبر ٢٠١١ كجزء من صفقة تبادل الأسرى فقط ليختطفها جنود الاحتلال بعد اشهر معدودة. واكد المجلس الفلسطيني لمنظمات حقوق الإنسان أن هناء قد تعرضت للضرب والإهانة والتفتيش العاري على يد مجند إسرائيلي وهي معصوبة العينين.[٢]

بدون إيجاد قانون دولي يجبر إسرائيل على القبول بأنه «لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً» وفقا للمادة ٩ من إعلان حقوق الإنسان، لم تجد هناء خيارا سوى أن تتبع الدرب الذي سلكه رفاقها من الأسرى السياسيين. في ١٦ فبراير، نفذت هناء إضرابا عن الطعام فلم يلق تأثيرا سوى بعد ٤٣ يوماً حين تم إبعادها إلى غزة وسمح لها أن ترى عائلتها بعد أن بكت ٢٠ دقيقة على معبر ايريز ولكن تحت إشراف مشروط للجيش الإسرائيلي. وستمضي الأسيرة هناك ٣ سنوات قبل أن ترى عائلتها مرة أخرى.[٣]

وعقب إضراب هناء، نفذ خضر عدنان أطول مدة إضراب في تاريخ الأسير الفلسطيني. ومن خلال معاناة خضر لمدة ٦٦ يوما كانت رسالة منه لجلاده مفادها أن الحياة بدون كرامة لا تستحق العيش.

لم تهمل حالة هناء وكذا حالة خضر، فقد كتبت شارلوت كيتس الناشطة في نقابة المحامين الوطنية «إن السجن واقع حياة للفلسطينيين، فقربة الـ ٤٠٪ من الرجال الفلسطينيين في الضفة الغربية قد احتجزوا في السجون الإسرائيلية والمعتقلات. وليس هناك من عائلة فلسطينية لم يمسها أذى جراء استخدام وسيلة السجن الجماعي كآلية قمع.[٤]

وقالت مؤسسة الضمير لدعم الأسرى وحقوق الإنسان[٥] «منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي الغاشم على أرض فلسطين عام ١٩٦٧، تم أسر ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ فلسطيني في السجون الإسرائيلية وهذا يشكل حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.[٦]

سامر العيساوي، كان واحداً من الذين أطلق سراحهم في صفقة تبادل الأسرى. ومع ذلك، بعد بضعة أشهر اعتقلته القوات الإسرائيلية بحجة خرق شروط الإفراج عنه. فكان رد العيساوي بأن أضرب عن الطعام. ومع حلول ٣١ مارس ٢٠١٣ كان قد أكمل ٢٥٣ يوما من إضرابه عن الطعام احتجاجا على احتجازه غير القانوني من جانب إسرائيل.

شكل العيساوي بإضرابه ظاهرة فريدة من نوعها. ويذكر انه أخ لسبعة اخوة ستة

منهم كانوا أسرى لدى سجون الاحتلال بسبب معتقداتهم السياسية. واحد منهم كان فادي الذي قام الجنود الإسرائيليون بقتله في عام ١٩٩٤، بعد بضعة أيام من احتفاله بميلاده السادس عشر. حتى اخته شيرين تم اعتقالها في ١٨ ديسمبر ٢٠١٢ أثناء جلسة استماع بشأن شقيقها سامر.

في ذلك اليوم، صرح موقع "The Palestine Monitor" بأن «سامر العيساوي قد تعرض للضرب علنا في محكمة الصلح في القدس بعد محاولته التلويح لعائلته بالتحية وتم جره من كرسيه المتحرك وحمله بعيدا وبكى مرارا بسبب ضرب الحراس له على صدره.» في الواقع، لقد أصبحت عائلة العيساوي وحي العيسوية بأكمله شرق القدس هدفا لقوات الجيش والشرطة الإسرائيلية. رغبتهم الدائمة كانت في كسر إرادة رجل واحد لا يقوى على الوقوف على قدميه.

مؤسسة الضمير لديها أرقام وإحصاءات من شأنها أن تثبت دون أدنى شك أن إسرائيل قد انتهكت كل الشروط التي نصت عليها اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بمعاملة السجناء، وكل قانون دولي ذي صلة. وفي حين أن هناك وفرة من الأرقام والإحصاءات، فنحن نادرا ما نسمع من أفواه الأسرى الفلسطينيين أنفسهم.

من ناحية أخرى من الذي لا يعرف جلعاد شاليط، الجندي الإسرائيلي الذي ساهم في إطلاق غارات متتالية على غزة المحاصرة والمعدمة. وسائل الإعلام الغربية كانت غالبا ما تصور شاليط كضحية، أو كبطل، أو كشخص إيجابي لا يشكل تهديدا، ولكن لم تصوره يوما بقاتل أو حتى مجرد قاتل محتمل. خضر، من ناحية أخرى اعتقل واتهم بالقيام بأعمال تهدد امن الدولة ومع ذلك رفض أن تتم محاكمته في مثل هكذا ذرائع واهية.

أما بالنسبة للأسرى الفلسطينيين، أو لنقل «المتوقع عودتهم إلى السجون»، فهؤلاء هم خيرة المقاتلين الفلسطينيين وهم صدى أصوات قد أخمدت من ٨٠٠,٠٠٠ من الفلسطينيين الذين اعتقلوا منذ عام ١٩٦٧، و الملايين غيرهم الذين تمنعهم الجدران المتنامية.

مذكرات الأسرى هي لمحات من حياتهم التي عانوها خلف القضبان، وتجسدت فيها معاني الألم والبطولة بطريقة لا يمكن التعبير عنها عبر أي تقييم إحصائي مهما بلغت دقته أو أي خطبة لاذعة مهما بلغت شموليتها. هم آباء محبون، منهم إبراهيم المصري الذي كتب «إن صورة ابنتاي أميمة و سجود، أعطتني الأمل لأتحمل عذاب السجن في نفحة وقسوة السجان و أبقت قلبي ينبض يوما بعد يوم، على الرغم من قتامة الموت اليومي الذي كان يفرض نفسه في سجننا، وكانت الأمل وعزائي في تلك الحياة الكئيبة «.أب آخر هو أحمد

النجار الذي قال: «أتمنى دائما أن أبقى في عالم جميل من أحلامي، حيث لا يمكن للظلام والسلاسل تطويقي، وحيث يمكنني أن أعيد براءة طفولتي، بلا أصوات مزعجة تسرق متعة الأبوة ؛ مكان فيه أستطيع أن أتكلم و أصرخ بحرية.»

هذه القصص القوية تخترق عتبات أي تعريف معتاد للألم، و تمتد لتصل إلى عالم من الأذى الذي لا يمكن تصوره. أكرم منصور مثال حي على هذا الألم حيث يقول: «في أحد الأيام، استيقظت مع صداع مؤلم. في البداية اعتقدت انه نتيجة للإرهاق، ولكن الألم لم يتوقف. حاولت تجنبه عن طريق القيام بأشياء أخرى، حتى فاق قدرتي على الاحتمال، وبطبيعة الحال، عندما طلب المساعدة، ماطل السجانون و رفضوا نقلي إلى العيادة. في النهاية سمحوا لي أن أقوم بالفحص الطبي طبيب السجن خمن أن السرطان القاتل قد غزا رأسي. لم أكن أعرف ماذا أفعل. شعرت كما لو أن أحدهم كان يحاول خنقي. عندها شعرت بظلام السجن من حولي.»

ولكن لا شيء يمكن أن يمحو إنسانيتهم، ولا حتى سنوات عديدة من الفراق أو ليال طويلة من الحبس الانفرادي. «ثلاثة عقود مرت، و أنا احترق بنار الانفصال القسري، « يقول سليم الكيالي في قصته «أشتاق لأن أقبل قدمي والدتي الذي بلغت من العمر ٩٥ سنة، أشتاق لأن أعانقها بذراعي. ذكرياتها لا زالت تعيش في كياني لم يمحها الأسر من ذهني، لم يكن ذهني غائبا يوما عن عائلتي ولكن السنوات العديدة التي قضيتها داخل السجن، بدءا من استجوابي و امتدادا إلى سنوات عقوبتي، قد استنفدت قلبي و دمرت شبابي.“

لا يمكن لخبر صحفي، وثيقة قانونية، أو خطاب سياسي أن يصف تجارب هؤلاء الأسرى ومعهم أكرم وأحمد و إبراهيم و سليم. هذا الكتاب هو محاولة نبيلة لإحياء قصص حقيقية للأسرى الفلسطينيين حيث تسمح لنا أن نعيش جزءا بسيطا من لحظات مؤلمة عاشوها، على الرغم من أن هذه اللحظات امتدت لسنوات وعقود. تمكنت هذه القصص من الهرب من سلاسل الجلادين الإسرائيليين التي لا ترحم. هي لا تمثل فقط تجارب أولئك الذين هم أحرار الآن، ولكنها تمثل أيضاً الآلاف الذين ما زالوا يقبعون خلف الجدران المظلمة، والزنزانات الضيقة، وألمهم يصب في السنوات القادمة.

تم العثور على رائد أبو حماد ميتا على أرض زنزانته. لكن نضال أصدقائه ورفاقه لن يموت.

٣١ مارس ٢٠١٣

- رمزي بارود (*www.ramzybaroud.net*) هو كاتب عمود دولي و رئيس تحرير *PalestineChronicle.com*. وأحدث مؤلفاته كتاب أبي ذلك المناضل : قصة غزة التي لم ترو بعد (مطبعة بلوتو، لندن)

---

الملاحظات:

(١) «تحقيق في وفاة سجين فلسطيني في سجون إسرائيل ،قالت السلطة الفلسطينية. رويترز. ١٧ أبريل ٢٠١٠.»
*http://www.haaretz.com/news/probe-death-of-palestinian-prisoner-in-israel-jail-pa-says-1.284441.*

(٢) «أم شلبي: ابنتي تموت في السجن.» معن. ٨ مارس ٢٠١٢.
*.http://www.maannews.net/eng/ViewDetails.aspx?ID=466199*

(٣) كولينز، ديلان. «تسوية إسرائيل الهزلية مع هناء شلبي.» مراقب فلسطين. ٣ أبريل ٢٠١٢. *http://www.palestinemonitor.org/?p=4577*

(٤) كيتس، شارلوت. «المحاكم العسكرية الإسرائيلية وسائل لتفعيل الاحتلال.» ٢٣ فبراير ٢٠١٢.
*http://palestinechronicle.com/view_article_details.php?id=19122*

(٥) «راجع موقع مؤسسة الضمير.» *http://www.addameer.org*

(٦) انظر صفحة ٦٣

# مؤسسة الضمير لدعم الأسرى وحقوق الإنسان

مؤسسة الضمير لدعم الأسرى وحقوق الإنسان هي مؤسسة أهلية غير حكومية تعمل على دعم الأسرى الفلسطينيين المحتجزين على خلفية سياسية في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

أنشئت المؤسسة في عام ١٩٩٢ من قبل مجموعة من النشطاء كرسّوا أنفسهم للنضال من أجل حقوق الإنسان.

يقدم المركز مساعدة قانونية مجانية للأسرى السياسيين، ومحامين للدفاع عن حقوقهم على الصعيد الوطني والدولي، ويعمل على إنهاء التعذيب وغيرها من الانتهاكات لحقوق الأسرى من خلال ضبط وإجراءات قانونية وحملات تضامن.

يقع مقر المركز في رام الله، فلسطين.

# ملاحظة

تشير بعض المذكرات إلى صفقة تبادل الأسرى التي تم بموجبها الإفراج عن جلعاد شاليط في الـ١٨ من أكتوبر ٢٠١١، مقابل الإفراج عن ١,٠٢٧ أسير فلسطيني.

معظم الأسرى الواردة مذكراتهم حرروا في صفقة تبادل الأسرى.

# متناقضات تتعايش وزيارات العذاب

**عبد الرحمن شهاب**

بقلم: هيثم غراب

أن تعيش بين القوة والضعف، بين الحب والكره، بين الرضى النفسي والقلق، بين الرغبة في تحدي السجان بحب الحياة والرغبة في الموت ليس حباً فيه وإنما لإنهاء معاناة من يحاولون الوصول إليك والتواصل معك. مشاعر تختلط ومتناقضات تتلاقى في قلبي وعقلي في تلك الزنزانة اللعينة.

لطالما شعرت بالفرح والحزن في آن واحد، ولطالما كانت عيناي تريدان أن تقفلا لكن قلبي يفتحهما نتيجة وساوس عقلي التي أصبحت عاملاً مؤرقاً، ولم يكن يسكّن كل ذلك إلا طاقة الصبر التي منحنا إياها ربنا جل وعلا بفعل ذكره آناء الليل وأطراف النهار.

في تلك الليلة كنت أعيش تلك المشاعر التي باتت جزءاً رئيسياً من حياتي التي امتدت لثلاثة وعشرين عاماً داخل سجون الاحتلال، فأنا على موعد مع زيارة والدي ووالدتي وشقيقتي.

حضروا في اليوم التالي دون والدتي، تم اللقاء ولم يفصحوا لي عن سبب عدم حضورها ومر الكلام من خلال السماعات المشوشة التي بالكاد يصل الصوت من خلالها والنظرات خنقها كالعادة الفاصل الزجاجي السميك الذي يحجب مشاعر الشوق والحنين لقبلة وحضن أبي وأمي الذي حرمني الاحتلال منهما منذ زمن كنت فيه على أعتاب مرحلة الشباب.

كانت صدمة قوية أوقعتني في حيرة كبيرة بعد سماعي للسبب الذي غيّبها عني خلال الزيارة الماضية، لقد حركتها مشاعر الشوق لرؤيتي فجاءت مسرعة ويبدو أنها كانت لا تفكر إلا في رؤيتي فصدمتها سيارة على باب السجن تسببت في إدخالها المستشفى حيث تعرضت لكسور متعددة في منطقة الحوض وكدمات أخرى.

لم يصلني وعلى مدار شهر كامل أي معلومات عن وضع حبيبتي الغالية الصحي، كانت أوقاتاً عصيبة لم أنم ولم يشعر جسدي خلالها بالراحة، تمنيت لو أن الموت تخطّفني قبل أن يصبح كوني أسيراً يعرض أعز مخلوقين على قلبي أبي وأمي لهذه المخاطر والمتاعب الكبيرة

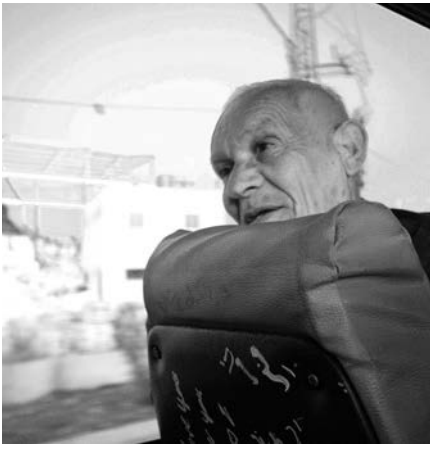

أب في طريقه لزيارة ابنه الأسير.

يقبع الأسرى في سجون عدة يصل عددها إلى ١٩ سجناً، تقع كافة السجون داخل إسرائيل إلا واحداً، وهذا يعد انتهاكاً صريحاً للقانون الدولي ما كان له تأثير على الأسرى الذين يجدون صعوبة في الاجتماع بعوائلهم، ذلك أن الزيارات العائلية تعتمد على إصدار تصريح من إسرائيل.

وقد تجاوز سنهم حينها الستين، نعم تمنيت الموت لأجل أن يشعرا بالراحة، حينها سيزورون قبري مرة أو مرتين سنة أو سنتين وسأنتهي من حياتهما بدل أن أكون سبباً فيما يتعرضان له من شقاء.

كان من المقرر أن تكون لي زيارة بعد أسبوعين لكنها تأخرت بفعل نقلي من سجن عسقلان إلى سجن بئر السبع ما أخّر الزيارة لأسبوعين آخرين حضر خلالها الوالد وشقيقتي وأخبروني بحالتها الصحية وحاولوا بكل طاقتهم إقناعي بتحسن حالتها الصحية وأنها بخير.

لكن قلبي بقي يترقب رؤيتها فهي تعالج في مستشفى قريب من السجن، وكثيرة هي المحاولات التي قمت بها للسماح لي برؤيتها وزيارتها، لكن إدارة السجن كانت تضع بيني وبينها موانع كثيرة وحوائط متباعدة برفضها المتكرر.

مرت الأيام ثقيلة على قلبي. ٩٠ يوماً عددتها يوماً إثر يوم حتى أطلت عليّ أمي في زيارة كانت بمثابة إعادة الروح للجسد رغم أنها كانت لا تستطيع السير بشكل جيد إلا أن روحها باقية نظرات عينيها ترمقني بحنان تشعرني بدفء أمومتها الصادقة.

لقد شكّل لي الأهل عاملاً كبيراً من عوامل التناقض الغريب، فمن جهة شكلوا لي نقطة قوة فهم أملي في الحياة وبهم أقوى وأحلم بالحرية للحياة بينهم ومعهم واستكمال مسيرة الحياة برفقتهم ونقطة ضعف من خلال عذابهم الذي كنت أراه في عيونهم عند كل زيارة.

كنت أحلم كثيراً أن أستطيع احتضان أمي وأبي، فسنوات البعاد والشوق جعلت عندي جوعاً لحضن أمي وأبي، فاعتقالي وأنا ابن عشرين عاماً، شكل لي حالة من الحرمان من ذلك

العطف الأبوي الرائع والحنان المنقطع النظير.

لقد أصبح ذلك ممكناً بعد إضراب امتد لواحد وعشرين يوماً في عام ٢٠٠٤، فقد تم الاتفاق مع الأسرى أنه بإمكانهم التقاط صورة مع الوالدين أو أحدهما في حال تجاوزت سنه السبعين عاماً وكان صاحب مرض نهائي لا يمكن شفاؤه.

تقدمت بالطلب ليكون لي نصيب في احتضان أمي وأبي والتقاط صورة لي معهم تكون أنيساً لي في وحدتي وزنزانتي، إلا أن الطلب رفض في المرة الأولى كون والدي لا يزال في سن التاسعة والستين، انتظرت عاماً كاملاً، عددته يوماً اثر يوم، طردته ليلة ليلة، أمنّي النفس بانتهائه وانقضائه حتى غادرني بعد أن أثقل عليّ كثيراً بأيامه ولياليه فتقدمت بالطلب مجدداً وتمت الموافقة وبدأت مرحلة الانتظار للزيارة القادمة.

كنت أحدث نفسي كيف سألقاهم، ماذا سأفعل حينها؟ ستة عشر عاماً لم ألامس يد أمي أو أبي، لم أشتم رائحتهم، لم أقترب لأحس بأنفاسهم الحانية تلامس وجهي ورقبتي. آه كم امتدت تلك الليالي وكم طال بي التفكير في تلك اللحظة حتى جاء اليوم الموعود.

حضر الوالد والوالدة للزيارة، وبعد أن تحدثنا لنصف ساعة حان الوقت لننتقل إلى غرفة مجاورة لمكان الزيارة للقاء والتقاط الصورة وحينها حدث شيء غريب ومفزع!

والدي أصبح يتصبب عرقاً ولم يعد قادراً على الوقوف وأصبح في حالة تشبه الغيبوبة. يا إلهي والدي ماذا حصل لك؟ ما الذي جرى له يا أمي؟ كانت أمي بالسماعة التي تلاحقها عقارب الوقت تطمئنني ولما انتهى الوقت المخصص للزيارة (٤٥دقيقة) فصلت السماعة تلقائياً ولم أعد قادراً على سماع أمي فبدأنا نتحدث بلغة الإشارات.

بدأت أصرخ على السجانين وإدارة السجن، ناديت عليهم لاستقدام ممرض للنظر في حالة والدي الذي بدا متعباً ومنهكاً وغير طبيعي بالمرة، ولما حضر الممرض واطلع على حالة أبي بينما أرمقه أنا وقلبي يتفطر حزناً وقلقاً، طلب الممرض إحضار الطبيب للاطلاع على حالة الوالد، جاء الطبيب وبدأ يجري بعض الأمور التي جعلت الوالد يعي ما يدور حوله لكنه بقي غير قادر على الوقوف.

ولما بدأت أمور والدي تتحسن قليلاً اضطرت إدارة السجن أن أذهب أنا للمكان الذي يجلس فيه والدي لالتقاط الصورة، لقد كانت لحظة فارقة في حياتي، احتضنت أمي كطفل صغير نعم، لقد كنت حتى تلك اللحظة أتصور أن أمي لا زالت أطول مني لكنني اليوم أشعر أنني أطول منها، نعم كبرت عمراً وامتد جسمي لكنك يا أمي ستبقين أعلى قامة ومنزلة أيتها الصابرة المكافحة وأنت يا أبي مثلها أيها المجاهد الكبير.

التقطت لنا صورة ووالدي جالس على كرسي الزيارة، ظهرت فيها ساعة التوقيت وقد انتهى وقت الزيارة وصورة السماعات والزجاج السميك اللعين الذي منعنا من تبادل الأحاسيس والمشاعر طوال سنين طويلة، هي صورة لم تتكرر ربما مع أسير آخر.

لا زلت بين يوم وآخر بعد تحرري أنظر إليها ولا أريها لوالدي. أريدهما أن ينسيا العذاب الذي رأوه من أجلي وأعوضهما عن سنين القهر والحرمان. الحمد لله لقد تحررت وها أنا أنعم بالحياة في كنفهما. الحمد لله رب العالمين.

# كانتزاع الروح أو أقسى

**إبراهيم المصري**

بقلم: فيحاء شلش

ليلة مزعجة أمضيتها ذاك اليوم، لم تدعني الكوابيس ألتقط أنفاسي إلا قليلا، بينما استيقظت والعرق يتصبب من جسدي وقلبي يرتعش بلا سبب، بقيتُ أستغفر وأستعيذ بالله حتى تمكنت من العودة إلى النوم بصعوبة بالغة ولم ألبث حتى استيقظت مرة أخرى.

في مثل تلك الأيام ألجأ إلى ظرفٍ صغير احتفظت به من إحدى الزيارات، أدركُ أنني كدت أمزقه من كثرة ما فتحت غلافه ولكنني لم أكترث، فصورة ابنتاي أميمة وسجود هي ما يمدني بطاقة كافية لاحتمال زنازين «نفحة» وقسوة السجان، هي ما تجعل القلب ينبض بالحياة يوميًّا رغم الموت الزؤام الذي يفرضه السجن على من فيه، هي الأمل والعزاء والمنعش الرئيس في حياتي الجامدة تلك.

صحيح أنني أضعت كل سنوات عمركما دون أن أكون معكما، ولكنني يا صغيرتاي لم أستطع تجاوز الجسد الغريب الدخيل على أرضي دون انتقام، لم أقوَ على مجرد التفكير أن أقعد مع القاعدين وأتنسم هواء ملوثًا بحقد اليهود. أميمة يا حبيبتي لا أستطيع نسيان النظرة التي علت وجهك قبل خمسة عشر عامًا حين اعتقلوني وأنت ابنة عامَيْن فقط، ولا يمكن أن أعيش يومًا دون أن تجتاح مخيلتي، أما أنت يا سجود فاعذريني لم أتمكن من معايشتك في أجمل سنين عمرك، لا أن أحتضن طفولتك أو أداعب براءتكِ. الآن كبرتما وأصبحتما فتاتين ولكن نسج الطفولة في ملامحكما لن أنساه ما حييت.

في ذاك اليوم ظل جسدي يرتعش وقلبي ينبض بقوة أستطيع تلمّسها، تجاهلت الأمر وبقيت ألهي نفسي بأمور شتى وإن كان السجين لا يملك خيارات كثيرة في ذلك.

شيء غريب يحدث في القسم، مجموعة من إخواني الأسرى تبدو على ملامحهم خرائط من كلام وعبارات صامتة، كدت أستدرجهم كي يخبروني بها، ظلوا على هذا الحال ساعات وهم يتحدثون بجمل لا أفهمها ويتكلمون معي وأشعر بأن سهام حديثهم تتوجه إلي. يتحدثون عن الحياة وزوالها والآخرة ونعيمها، وفضل الصابرين وبشراهم عند ربهم.

إبراهيم مع طفلته حديثة الولادة نور

حينها لم أقوَ على التحمل، فباشرت بسؤال أحدهم «هل من شيء تخفونه عني؟»، فقال آخر: «اسمع يا إبراهيم. نحن نعلم أن السجن حياة أخرى على الإنسان، ولكنه ليس بمعزل عن الحياة الخارجية»، قاطعته بشدة: «تكلم ماذا هناك؟» تنهد وتمتم بجملٍ طويلة اتخذها مقدمات لحديثه ولكنني لم أدرك منها إلا آخرها. «عظم الله أجرك يا أخي إبراهيم. ابنتك أميمة في ذمة الله».

كأن خنجرًا غرسوه في قلبي وألوانًا من الآهات اجتاحت أنفاسي. كأنهم سلخوا عني كل أشكال الحياة ودفنوا روحي مرة بعد أخرى. كأنهم أعلنوا الموت على إبراهيم لا على ابنته. كيف ولماذا وأين؟ بقيت الأسئلة والأفكار تدق ذهني وتطرق خلاياه. أميمة طفلتي الأولى وفرحة عمري تغيّب هكذا ودونما وداع؟ أتغادرينني يا سويداء القلب دون أن أرسم على وجهكِ نظرة أخيرة؟ أتصبحين تعب الروحِ بعد أن كنتِ حياتها؟

بالطبع لم تحملني قدماي وشعرت بدوارٍ تملّكني وأرهق عافيتي، أطلقتُ الآه من جوف صدري دون اكتراث لمن حولي وبدأ شريط الذكريات يلوح أمامي بتسارع مصحوب بأصعب ألمٍ فاق السجن والتعذيب والحرمان. ولكن آيات كتاب الله بقيت تطرق أسماعي وكأن الله ينزل سلوانًا على قلبي في مصابي هذا وأي مصاب. استغفرت الله وصليت ركعتين وأمسكت بمصحفي وشرعت بقراءة آياته تصبّرني تارة وتجرفني العبرات تارة أخرى. بقيت على هذا الحال أيامًا بل أشهرًا طويلة وكأن وداعها يحدث كل يوم ويشق طريقه الجارحة في قلبي كل لحظة.

عزاءٌ أكبر كان لي حين علمت من العائلة في إحدى الزيارات أن أميمة أصابتها حالة نفسية بعد اقتحام الجنود الصهاينة لمنزلي فتفاجأت بهم وبأشكالهم الوحشية، وما كادت تكمل شهرًا بعد الحادثة تلك حتى توفاها الله وهي تعاني من أزمة نفسية رددت خلالها عشرات المرات «أريد الشهادة يا أمي، أتمنى أن أموت شهيدة». لله درك يا صغيرتي، أحسبكِ شهيدة وأدعو الله أن يتقبلكِ كذلك.

# جائعون للحرية «١»

**إبراهيم شلش**
بقلم: فيحاء شلش

مرت ستة أعوام حتى الآن. أعدّها يومًا بيوم وساعةً بساعة، أقلّب دفاتر التاريخ في ذهني وأحاول جاهدًا انتزاع أيام إضافية علّها تخفف ثقل صخرة الحكم فوق صدري والتي ستسرق من عمري ٢٢ عامًا. صحيحٌ أنني احتسبتها في سبيل خالقي ولكنّ الحرية ما زالت ثمينة وثمينة جدًّا في حسابات أمثالي.

هناك في عتمة سجن «شطة» كنا نلاحق الآمال بالتحرر ونسقيها بالأمنيات الشاردة عنوةً فوق ربيع العمر المكبّل، كنا نسرد قصصًا لبعضنا عن جبال الخليل ومرتفعات رام الله وبحر أريحا وعراقة نابلس، ثم يأخذنا الحنين اللامحدود إلى أسوار عكا ومآذن القدس وشواطئ حيفا. كنا نبحث عن أي فراغ للحرية في الكلمات والأوراق وحتى الأصفاد.

في يوم مشوّه بصرخات السجان كنت أسير في الزنزانة الضيقة ذهابًا وإيابًا أكاد أحفر أرضيتها بخطواتي، أنظر إلى وجوه إخواني من حولي وأرحل إلى عالم الأحلام المشحونة طبعًا بالحرية، ليتني أستطيع هدم جدران السجن، أو اختراق الباب الحديدي الثقيل، أو خلع أرضيته كي أنزع عني حقدهم. خلع أرضيته؟ مهلا أستطيع فعل ذلك، فالحرية تنتزع ولا توهب، وهي أحق أن أبحث عنها حافرًا بأظفاري كل طبقات المعمورة. هذا ما راود عقلي لساعات طويلة وأنا أقلّبها مقتربًا منها شجاعة، ومبتعدًا عنها توجسًا، حتى باتت الفكرة متبناة لديّ ولدى مجموعة من إخواني الأسرى. قررنا إذًا أن نشق الأرض بحثًا عن الحرية!

بعد اجتماعات طويلة متتالية وبسرية تامة عزمنا على بدء حفر نفق في أرضية السجن، كنا نعلم بالطبع أن الأمر ليس سهلاً وأننا قد ندفع أرواحنا ثمنًا لذلك ولكننا أعلنّا التحدي. هو ذاته الذي أعلنّاه قبيل اعتقالنا فبذوره ما زالت فينا نسقيها بفكرنا. بدأنا ننتزع «بلاط» الغرفة بواسطة معلبات الطعام الحديدية والمسامير ونجحنا في إزالة اثنتين خلال أيام، ثم شرعنا بتنفيذ المرحلة الثانية بحفر الإسمنت الصلب دون أدواتٍ تساعدنا بل متسلحين بطموحٍ اخترق أسوار السجون. كنا نعمل بسرية تامة وما أصعب هذا الأمر كون غرفتنا ملاصقة لغرفة أخرى.

كم لفّقنا الأكاذيب السمعية على السجان كي نواصل عملنا دون أن يشعر بنا، فمثلاً اتفقنا مع مجموعة من الأسرى أن ينظموا فريقين خلال ساعة «الفورة» المتنفس الوحيد لهم والقيام بالتشجيع بصوت عالٍ كي يغطوا على صوت أعمال الحفر الجريئة. وبعد أيام طويلة من عناء اختراق الإسمنت تفاجأنا بطبقة أخرى مماثلة، عزمنا على ألا تذوّب عزائمنا وأن نهشّمها بآمالنا فكان لنا ذلك باستخدام أدوات غريبة كقضيب المروحة الكهربائية، حتى وصلنا أخيرا إلى طبقة التراب.

كان التحدي وقتها أن نتخلص من كميات التراب التي نستخرجها، فاتفقنا على تذويبه في دورة المياه المهجورة التي تجاور غرفتنا. كنا وقتها مهندسين ننظم خطواتنا بدقة كي لا يُكشف أمرنا، وعمالاً ننغمس في الحفر بحثا عن نور الشمس الطليقة، وحراساً نحرص على سرية العمل وإتمامه بأسرع وقت. أنهينا مترين ونصف من الحفر في عمق الأرض ثم اتجهنا فيه نحو الجدار بتقدير المسافة من نافذة الغرفة الضيقة ورسم مخطط ذاتي لمعرفة الاتجاه الذي سنحفر فيه. وبعد حفر ما يقارب سبعة أمتار عرضياً أنشانا جسرا من الخشب كي لا يتساقط التراب فوقنا بسبب وجود شارع تمر عليه الشاحنات يوميا. قد يبدو ضربا من الخيال أن نتحلى بمثل تلك الجرأة ونحن أسرى القيد لدى بني صهيون. ولكننا أسرى الحرية كذلك.

ربما من أبرز التحديات التي خضناها هو عدم وجود هواء داخل النفق الذي حفرناه، فكم تعبنا وكاد أحدنا أن يسقط مغشيا عليه وهو بداخله، أما الظلمة التي غطت أرجاءه فكان حلها لدينا بتوصيل ثلاثة مصابيح ومواصلة الحفر زحفا تحفّنا رعاية الرحمن. وكاد السجان مرة يهوي بقلوبنا إلى الأرض حين قام بعمل فحص روتيني للغرفة تخلصنا منه بالتحايل عليه. بل نجزم أنّ «شاهت الوجوه وعميت الأبصار» التي رددناها في نفوسنا وقتها أعمت بصيرته.

يمكنكم متابعة بقية هذه القصة بكلمات أخي الحبيب والأسير المحرر عباس شبانة في مذكراته التي تلي مذكراتي.

# جائعون للحرية «٢»

**عباس شبانة**
بقلم: فيحاء شلش

للعبة الجريئة التي انتدبنا أنفسنا لتنفيذها لم تكن سوى حقل ألغام أوله رماد وختامه ورد، ولكنّ أي شيء لدينا كان لا يساوي دقيقةً خارج أسوار السجن وإن أمضينا أعمارنا مطاردين. وحلم الحرية الذي راودنا طويلا لم يكن بمعزل عن جراح يخلّفها في نفوسنا كلما غادرنا بخيالنا عتمة الزنازين إلى أنوار الوطن السليب.

وأبدأ من حيث انتهى أخي عباس في سرد أجمل وأقسى حكاية مرت علينا خلال الأسر. فبعد جهد في حفر النفق المتواضع بآليات بدائية بدأنا نتلمس طريقنا إلى حيث جدار السجن الخارجي، وما زلت أذكر حين انقطع عني الهواء أثناء قيامي بالحفر وكيف شعرت بدوار كاد يفقدني وعيي. وبعدها بليلة واصلت العمل منذ أذان المغرب حتى الثانية فجرًا تقوّيني صور التحرر وأشكال الحياة خارج قبور الأحياء.

نجحنا بعمل فتحة صغيرة خارج النفق تبعد أمتارًا قليلة عن برج عسكري للمراقبة، وكانت بيننا إشارات معينة كي لا نحدث شكوكًا لدى الجندي المراقب فوق البرج إذا نظر إلى الجهة التي يوجد فيها النفق، فالحلم يقترب من التحقق كلما اقتربنا من الجدار. وحين رأينا أن الفرصة مناسبة خرجت أنا وعباس وأخ ثالث من الفتحة إلى حيث هواء العالم الخارجي، وبحركات خفيفة من المشي السريع تخطينا بضعة أمتار خارج الجدار تحدونا أمنيات على وشك أن تكون واقعًا.

وبينما نحن نغوص أكثر فأكثر في فرحة قرب التحرر فوجئنا بكلاب بوليسية لمحتنا عن بعد وشرعت تنبح وتتراكض تجاه الجدار وترغم الجندي المراقب على النظر إلى الجهة التي كنا نسير فيها، وبعدها أضواء ساطعة سُلطت بالقرب منا فرمينا أنفسنا على حقل من العشب وإذا به جافٌّ كالحجارة يصدر أصواتا تغذي شكوك الجنود. ولم نكد نرفع رؤوسنا حتى لمحناهم يتراكمون حولنا بلمح البصر ولم نستطع الهرب. حاصرونا بأسلحتهم ونحن في حالة من عدم التصديق ثم الاستسلام للأمر الواقع. اقتربوا منا قليلا وشرعوا بتنفيذ عُرفهم الأسود.

ألوان من العذاب ذقناها ثلاثتنا كادت أن ترحّلنا إلى مقابر الأرقام. لم نستفق من

عباس شبانة مع ابنته البكر سدرة

صدمة كشف أمرنا بعد حتى انهالت العصي وأعقاب البنادق تثخن الجراح في أجسادنا. في كل بقعة من جلودنا وضعوا علامةً موقّعة بالدم ممزوجة بحقد دفين. وفي كل موضع خلية رسموا آلامًا بقيت أعوامًا تذكّرنا بذاك اليوم. نقلونا بعدها إلى الآليات وهناك اتفقنا أن نتبنى العملية نحن فقط لنبعد الضرر عن البقية من خلفنا. وحين أعادونا إلى السجن كان بانتظارنا أضعاف عددنا من الجنود، أو لنقل كان لكل واحد منا عشرة منهم «يلقنه درسًا». ألقونا أرضًا وبدأت الأسلحة ترسم ظلالها على أجسادنا مرة أخرى والأحذية تركلها من كل مكان بينما القيد يشل حركتنا والأصفاد تزيد آلامنا. بعض الوقت من جرعة عذاب ثالثة تلقيناها بعد ذلك بنفس الطريقة التي أجبرت الدماء على النفير من فتحات الجراح الغائرة في صدرونا وأيدينا وظهورنا وأرجلنا دون أن نتمكن من الدفاع عن أنفسنا ولو بالتراجع إلى الوراء.

كنا وقتها في عالم اللاوعي لما يحدث لنا وأمواج من التساؤلات تجتاح أذهاننا. ولكنّ الأقسى من كل الضربات الأليمة كان تلاشي حلم الحرية ونحن أسارى السجن المؤبد لا نلمح طيفًا لها. وزادت فوق ذلك إجراءات السجّان بحقنا بعد أن تمت إعادتنا للتحقيق مرة أخرى ونحن بالملابس ذاتها الملطخة بالوحل ولأكثر من عشرين يومًا، ثم عزلنا في بئر السبع لسنة كاملة هوت بنا إلى حيث لا يجرؤ نور الشمس على الاقتراب حتى من خيالنا، وتوجوا كل ذلك بسلسلة محاكمات جديدة أضافت إلى أحكامنا الفلكية خمسة أشهر، ثم عدنا إلى الزنازين نحمل صفة «خطير» في بطاقات الأسر. ولكننا أدركنا أنها شهادة عز وأسطورة تحدٍّ سنرويها لأحفادنا كلما استذكرنا توقنا للحرية بعيدًا عن ما خلّفته في نفوسنا من ألمٍ ولد بعد أمل.

وبفضل الله وبسواعد مجاهدينا خرجنا رغم كيدهم رافعين رؤوسنا من أبواب السجون عنوةً وليس عبر الأنفاق تعانق أجسادَنا حريةٌ بطعم الانتصار لن ننسى ما أسبغته على أرواحنا ما حيينا.

# وقتلتني الذكريات

**سناء شحادة**

بقلم: فيحاء شلش

لن أبذل جهدًا في العودة إلى تلك الأيام، فذاكرتي مثقلة بالصور المتشابكة وما تلاها من خط عذابٍ أضاف إلى سنوات عمري الكثير. كنت وحيدةً متعبةً، ينهشني ضعف الجسد ويقويني الدعاء فقط.

في بداية أيام اعتقالي وكما هو معهود نقلت إلى مركز تحقيق المسكوبية، صحيح أنه يقع في القدس ولكن حتى رائحة الشوارع العتيقة والحجارة المغبرّة وصوت الأذان وأجراس الكنائس لم تكن تصل إلى أيٍّ من حواسي، كنت أحيانًا أغمض عيناي وأوهم نفسي أنني في الأقصى مع والدتي كما اعتدنا، نجلس سوية نصلي ونسبّح ثم نخرج إلى الباحات ونرمي ثقل الأجساد تحت ظل شجرة. ها هي نسمات الهواء تداعب طرف حجابي وتزيل آثار التعب عنا، وذاك منظر الصخور الضخمة التي شيد منها بيت الله تبهرني من جديد مع أنني أراها يوميًّا، وهناك في كبد السماء أشكال عشوائية بانتظام رسمتها طيور فوق القباب.

ثوانٍ فقط تتزاحم فيها تلك الصور بقوة إلى خيالاتي حتى أستفيق فجأة من حلم اليقظة وأنظر حولي فأجد سوادًا قاتمًا وكرسيًّا تحتي هو أداة تعذيبي، لا نافذة ولا هواء ولا نور سوى شيء صغير معلق من سقف الزنزانة يعطي ضوءًا أصفر مزعجًا، خافتًا أحيانًا وساطعًا أحيانًا أخرى. آهٍ كم أحنُّ إلى بيتي وغرفتي الزاهية وسريري، كم أشتاق لقدسي وحاراتها المحشوة بالأمل. أطلق زفرات من الغضب بين الفينة والأخرى وأغيب مجددًا في عالم الذكرى.

لم يكن المحققون يفرقون بين أسير وأسيرة فالفلسطيني واحد، كان أسلوب تعذيبي كما هو متبع مع بقية الأسرى يبدأ من شبحي على الكرسي مقيدة لساعات، ثم جولات من حرمان النوم وجيش من الحشرات يجتاح زنزانتي الضيقة. أما عند الاستجواب فألوان من الأسئلة والتهديدات تتصادم أمام ذهني وتسبب لي صداعًا لا أجد له دواء إلا الاستغفار والدعاء. وفي مرة من تلك الجولات أحضر المحقق هاتفًا محمولاً وطلب رقمًا كدت أجهله لولا بقايا حياةٍ في روحي. ردّت سيدة خمسينية أعادني صوتها طفلةً تلهو بجدائلها، يا إلهي

هل أصابت فيهم الرحمة موقعًا ليسمعوني صوت أمي؟ صرختُ بلا وعي منادية عليها فتلعثمت ولم تدرِ أهي سناء ابنتها حقًّا أم لعبة مخابرات جديدة. أسكتني المحقق وبدأ يردد على مسمعها كلماتٍ لم تخرج من دائرة التهديد. ثم هزّ كياني بعبارة حاولتُ عدم تصديقها. «خلال أيام سنهدم منزلكم فأخلوه على الفور».

أعادوني إلى زنزانتي وعقلي معلق مع المكالمة والتهديدات، هو ما أرادوا فعلا أن يحدث لي من تيهٍ وقلق وتخبط. حاولت إقناع نفسي بأن هذا أسلوب وضيع لمخابرات المحتل، ولكن الشكوك التي تشبثتُ بها تبددت حين أسمعوني مكالمة أخرى والجرافات تحيط بمنزلنا وصراخ أمي وتمتمات أبي تملأ أجواء المكان. كم هو غريب هذا الشعور بالضيق، وكأنه إنسان آخر يحاول خنق أنفاسي واعتلاء قمة معنوياتي لتحطيمها كالتماثيل. ذرفت الدموع كثيرًا وأنا أستمع لصوتهما وأتخيلُ المشهد القاسي. فمنزلي يحمل لديّ أهازيج خاصة لا يمكن أن تترجمها الكلمات.

كنت في الدقيقة الواحدة أحشو ذاكرتي بمئات الصور التي علقت فيها لذاك المنزل؛ غرفتي وجدرانها الزاهية، والساحة الأمامية تظللها أوراق الدوالي، والشجرة الكبيرة وكم حفرنا أسماءنا على جذعها، كرسي القصب المفضل عند أبي وحتى إبريق الشاي القديم. كل تفصيل في البيت كان يتراءى إلى ذهني ويصحب معه شجون الحنين والحزن سوية.

لم يفارقني صوت أمي وهي تدعوني ألا أعترف بشيء رغم أن الجرافة كانت تتوقف على باب المنزل، كانت تحاول التظاهر بالعزم بينما تفضحها حشرجة الصوت المجروح، ولم يفارقني أيضًا الشعور بالذنب والمسؤولية عن كل ذلك، ولكنّ الله ألهمني أن أقرأ آيات من كتابه خففت عني الحزن قليلا وأبعدت القلق خطوات صغيرة. وبقيت على هذا الحال لأيام ولا يعلم بي إلا من خلقني، أحارب النعاس وأشرب الماء فقط كي تروى عروقي المتعبة، بينما كاد رأسي ينفجر من كثرة التساؤلات والتفكير الذي أرهق خلاياي وأعصابي. حتى جاء يوم علمت فيه أن العائلة استطاعت منع أمر الهدم بالركض في الأروقة القضائية الصهيونية العوجاء. حينها كانت نار المحققين بردًا وسلامًا عليّ، أحسست بكبرياء الفلسطيني وعزة المؤمن وسناء المخلصين. سجدتُ لله شاكرةً وتساقطت دموعي على أرضية الزنزانة وأكاد أجزم أنها حفرت خطًّا رآه مَن بعدي.

# ورحل الصدى!

**أحمد النجار**

بقلم: فيحاء شلش

كم الأطياف تنساب في ظلال النور مسجاة في بحر الهموم الواسعة، كم تحملنا الأحلام إلى وادي السراب المثقل بالتكهنات الفارغة، وكم تسير بنا إلى غموض الأيام تزيدنا بسماتٍ وتُنقص الأحزان.

ولكم تمنيت أن أبقى عالقًا في عالم الأحلام الزاهية، هناك لا تغدر بك العتمة ولا يجرؤ القيد أن يلتف حولك. وهناك أحتضن البراءة بكل ما تحمله ملامح الوجه الطفولي دون صوت بغيض يسلب متعة العطف الأبوي. هناك أستسيغ الكلام وأقوى على الصراخ.

ربما بدأت حكايتي منذ ليلة اعتقالي، حين كان الذهن مشدودًا لجَنينٍ في أحشاء أمه، ولدت وكبرت دونما قبلة صباح واحدة مني ولا ابتسامة تبدأ بها يومها. ولكن الأصعب من ذلك هو السكون في حضرتها ومنع حتى الصدى من شق مسامعها؛ ففي يوم وبينما كنت في زنزانتي أعد أيام المؤبدات السبعة وأمحوها من التقويم المقيت شعرت بحرقة في حلقي لا تشبه تلك التي تسبق تساقط الدموع أو المنبعثة قهرًا من جوف الصدر، لم تسكتها جرعات الماء التي شربتُ ولا نفحات الهواء التي تنسمت، حتى ازدادت بجنون لا أقوى على تحمله وطلبت من السجان نقلي لعيادته التي تشبه كل شيء إلا العيادة.

بعد محاولات مريرة تمكنت من الحصول على فحص لتلك المنطقة، ولأن السجن يدس عذاباته في كل تفاصيل القابع بين جدرانه أبلغوني ودون مقدمات أو مراعاة أن خلايا المرض الخبيث بدأت تنتشر في حنجرتي. لم تكن ردة فعلي سوى النطق بكلمات الحمد لله وتسبيحه. مرت الأيام وأنا أفكر بمصيري بين وحوش كاسرة تنتظر كبوة الأسير فتنهش جسده، وأدركت أن عافيتي سترهق في ثنايا الزنازين فوكلت أمري لخالقي. وبينما أنا أكابد الآلام تعيّنت لي جلسة جراحة تم استئصال بعض الأجزاء من حنجرتي خلالها، ولا أستطيع أن أصف الجراح التي أثقلتني وقتها فالألم تراكم على جسدي وشرعتُ أخمده بالدعاء ولست أملك غيره.

لم تفلح الجراحة في وقف المد السرطاني الذي غزا حلقي، بقيت أتلوى ألمًا وتتهدد حياتي

المخاطر من استمرار انتشاره، ولأن الطريق الأسهل للسجان أن يضاعف علقمي هذا قادني لجراحة أخرى هدفها فقط إسكاتي، كنت أعلم أنني أسير مع سجاني لأستأصل صوتي، دعوت الله وكان الإيمان زادي والحمد ردائي والصبر سلاحي. فيما أنا على سريري أنتظر مصيري المعلوم لدي ولم يكن يشعر بي من كان حولي. كنت كجريح يشكو حاله لطيور جارحة، جاءني الطبيب وقال لي إنه سيقوم بفتح فتحة لأتنفس منها حتى أستطيع الحياة، فقلت: الحمد لله، فقال: سنستأصل الأوتار الصوتية، فترقرق الدمع في عيني لا لشيء إلا لأنها حبل الوصال مع الأهل والأحبة، ثم عاد فقال: سنستأصل الحنجرة، فقلت: الحمد لله، ثم قال: سنستأصل الغدد الليمفاوية، فقلت: الحمد لله، ثم قال: سنستأصل الغدة الدرقية، فقلت: الحمد لله، ثم قال: سنحول شريانًا من صدرك لمكان آخر، فقلت: الحمد لله، ثم عاد فقال: سنغلق مجرى التنفس من طريق الفم والأنف وستتنفس من فتحة على الرئة مدى الحياة، فقلت: الحمد لله. دعوت الله وتشهدت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وكان هذا آخر كلامي.

بعد أن أفقتُ من عملية القهر المنهج لاحت صورتها أمام مخيلتي وعيناها الواسعتان تجتاح عواطفي، شعرت بلهفة لرؤيتها والمسح على خصال شعرها الحريري علها تعيش لحظة واحدة في كنف والدها، وكانت أول زيارة بعد أيام وأنا مسلوب الصوت والصدى متسلحًا بالنظرات الممزوجة بالدموع. لم أستطع إلا التبسم في وجهها واستلهام الصبر من براءتها، قرأت في عينيها سماتٍ للغضب المكبوت تحكي قصة لعن السجان تكبر معها كلما كبرت، أعبّر لها بمقلتيّ وما زالت تجيد لغة العيون حتى أسقَطَت دمعة فهممتُ أعانقها. انتهى اللقاء وتداعت لختامه أنفاسي، انتهى وعيناي ما زالتا ترسلان لها كل معاني الحنين الصامتة. سامحيني يا ابنتي فقد حان الفراق مرة أخرى.

"وقفه للمطالبة بإنقاذ الأسير المريض إبراهيم البيطار تلاها اعتصام للأسرى الفلسطينيين بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١٤ أمام مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر، غزة. وتعتقل القوات الإسرائيلية البيطار من مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة في سجن نفحة الصحراوي، ويعاني البيطار من اضطرابات بالإضافة لإصابته بمرض السرطان في الدم." تصوير/ جو كيترون.

فلسطينيون يشاركون في تظاهرة في الضفة الغربية احتجاجاً على استشهاد الأسير ميسرة أبو حمديه في السجون الإسرائيلي بسبب سياسة الإهمال الطبي.

# فوق صفيح الألم!

**أكرم منصور**
بقلم: فيحاء شلش

أمست ذاكرتي مثقلةً بالصور والأشكال التي تحكي سلسلة أحداث لا يمكن بسهولة أن تسقط من ثناياها، فتلك الفترة التي أمضيتها في السجون تزيد على «عمري الحر»، وأضحت الأيام لدي ثكلى بما تحمله كل دقيقة من علقمٍ أسود.

كثيرا ما كنت أسافر ذهنيا إلى حارات قلقيلية وأزقتها وحيّنا الوادع وشجرة الزيتون المغروسة بالقرب منه، وكثيرا ما كانت تأخذني الأمنيات إلى لحظة واحدة بين رمل الطفولة والصبا وضحكاتنا الناصعة بعيدا عن ابتسامات السجان الصفراء، أحيانا كان الحزن يملأ عروقي إذا غابت صورة عن ذاكرتي أو تشوهت أجزاؤها بصور أخرى دخيلة لا تفارق عتمة الأسر. كم كنت أشعر بالحرقة حين بدأت أحلام المنام تتلاشى عن منزلنا والسماء الملساء وأسوار الحديقة والعشب المترامي على جانبي الطريق وتُستبدل بأخرى عن الجدران السوداء والنوافذ الحديدية المقيتة و«البرش» و«الكانتينا» و«العدد» و«البوسطة»!

استيقظت ذات يوم على وقع صداع قاسٍ ضرب الخلايا من جذورها، وظننت في البداية أن الأمر لا يتعدى الإرهاق لولا جولات أخرى موجعة، بقيت أشكو ألم الرأس وأحاول تناسيه بأمور أخرى حتى لم أقوَ على تحمله ثانية واحدة. وبالطبعِ ماطل السجان في مساعدتي ونقلي إلى العيادة لإجراء فحص طبي. وبعد محاولات متتالية أجريت الفحص وبدأ طبيب السجن يهيئ لي مرضي على أنه السرطان القاتل وقد اجتاح رأسي. لم أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف حيال ذلك، تضايقت كل أنفاسي وشعرت بعتمة الأسر تهوي بي إلى ظلمة أحلك. وبقيت على هذا الحال عدة أعوام وأنا أحس بثقل رأسي يدور بي في الزنزانة ويزيد من عذاباتي، بينما السجان لا يملك إلا كلمة «تأجيل» كي يرهق عافيتي ويحاول قتلي ببطء.

كبرت الأوجاع في دماغي وكبرت معها أحزاني، فلم أشأ أن أفارق الحياة بين قضبان الأسر الصدئة ولا أن أدفن في أرضيته الصلبة. كبرت الأوجاع وشرعت تأخذني إلى عالم الإغماء والتقيؤ والتشنجات بينما السجان على حاله يبتزني حتى في مرضي. كبرت الأوجاع وانتشر صداها في جسدي فعانيت من آلام في الرقبة وأخرى في أنحاء متفرقة. كنت أتعرض حرفيا

لما أسموه الإهمال الطبي وشعرت بالسجان يريد إزهاق روحي من وراء مماطلته وتأجيله لعمليات جراحية كثيرة كانت من المفترض أن تجرى لي، بينما وحين أجرى لي إحداها بسبب آلام في الأذن زاد وضعي سوءاً وكأنه تعمد سرقة سمعي وكل حواسي.

تلك الأيام لا يمكن أن تغيب عن ذاكرتي بكل تفاصيلها، فكلمة «يداك ملطخة بالدماء» كانت تهز أسماعي كلما طالبت بنقلي إلى عيادة السجن أو الحصول على علاج فوري، كان المسكّن هو الوحيد الذي يلازمني وكأنه طحين لا يسمن ولا يغني من جوع، ازداد تدهور صحتي وازدادت حالات الإغماء التي داهمت جسدي ودون مجيب ولا مكترث وكيف يكترث قاتل للضحية!

شعرت أنني أبعد خطوات فقط عن الموت بينما السجان يتفنن في تعذيبي بطريقته، وكأن يده مغلولة في عنقي تحاول نزع أنفاسي وقتلي بكل الوسائل المتاحة. حينها قررت أن أمنع نفسي عن الطعام والشراب والدواء حتى يتم فحصي ومتابعة علاجي بجدية، بقيت أربعة أيام على هذا الحال والإرهاقُ شكلي وعنواني. مكثتُ في سريري أقاسي المر وأتجرع علقمه وأوزع الأوجاع على خلاياي علّها تخفف عن بعضها حتى استجابت إدارة السجن لمطالبي خوفاً وهلعاً من أن يصل صوتي إلى المحافل الدولية. لم يكن علاجا كافيا على كل الأحوال ولكنني أفخر كلما تذكرت أنني أرغمتهم على نقلي إلى العيادة.

هناك وبحمد الله تبين أن كل ما حاول السجان ترهيبي به من مرض خبيث كان مجرد كيس دهني تضخّم بسبب الإهمال الطبي وسبّب لي حالات الإغماء والتقيؤ. شكرت الله على نعمته وفضله وتبسمتُ لأيام. لأنني لن أُدفن في عزلة السجن ولا بين أسواره القاتمة.

# سُرقت نوتة المذكرات، وسكنت بي الأطياف والصور!

**إياد عبيات**

بقلم: سماح المزين

حينما اختطَف أحد الجرذانِ «نوتة المذكرات» من بين يدي ورماها بعيداً شعرتُ أن أحدهم اختطف قلبي، هذه النوتة كالعهد أحتضنها وأحافظ عليها، أحبها كما أحب كل شيء يقتطع حبه من الوطن، كنت أتشبث بها كأنها زيتونة تسندُ الذاكرة، أو سور يحفظ كنوز الروح، لكن الذاكرة مع ربت الإخوة على كتفي وهمسهم: «اثبت يا إياد، لا عليك يا أبا موسى» استجمعت الصور الحبيبة وملمت ما يشذ عن الصف، قربت إليّ المشاهد والأحداث، وكيف تنساها الذاكرة وهي تعشش فيّ تسكنني الأطياف، وينعشني ذكر أصحابها.

أذكر أنني في الصفحة الأولى سجلتُ الحكمَ والتهمة، ولم أنس بالطبع تسجيل اسمي، فقد كنت أخشى أن أتوه بين قصتي وقصص إخواني! كان الحكمُ ثلاثة مؤبداتٍ والتهمةُ هي المشاركة في قتل جنود صهاينة، لا أنكر أنني حين استقبلت الحكمَ كنت أظن ككل الذين يظنون أن المؤبد الواحد يعادل خمساً وعشرين سنة فقط، إلا أنه تبين لي فيما بعد أن المؤبد للأسرى الأمنيين يعادل تسعاً وتسعين عاماً؛ سجلتُ تلك المعلومة ثم وضعتُ (نقطة) وغفوت بينا أبتهل لله تخفيف الألم ومنحي الصبر!

بعد سنتين من اعتقالي جاءتني زوجي بقصة آلمتني أشد الألم كانت تلك القصة وأخواتها تحتل الصفحات الأغلى من نوتة مذكراتي: في هذا اليوم حدثتني أم موسى: «في يوم من الأيام كنا نجلس أمام منزلنا ساعة «العصرية» وكان بعض أطفال جيراننا يمرون من أمامنا برفقة والدهم، وبدأ موسى ابن الستة أعوام بالبكاء، ولما سألته عن سبب بكائه قال: لماذا يمشون برفقة والدهم أما أنا (فلا).» ولم أستطع أن أكمل القصة، لكنني كنت أتقطع ألماً على هذا الطفل الحساسْ.

كان أبنائي يكبرون شيئاً فشيئاً، وحين يزورونني أسرق الوقت من الوقتِ وأهرب بهدوء

إلى مذكرتي وأسجل فيها كل ما استجد عنهم ومنهم، أرسم صورهم، هل تغيروا، كيف أصبحوا الآن وكيف بدأت تظهر فيهم ملامح الزمن الذي غيَّب والدهم عنهم، من زارني منهم، كيف كانت نظراتهم حين بدأت الزيارة، وكيف كانت حينما ودعوني، فيم تحدثنا، كم مرة ضحكوا، كم دمعةٍ ذرفوا، أيهم شغل فكري أكثر، أيهم يعجزه فقدي أكثر، بناتي يتقدم لهن العرسان ويتزوجن وأنا أسجل التواريخ والملامح وأدعو الله لهن بالهناء والسعادة. ويا للفرحِ الذي كادت تنطق به مذكرتي حين سجلت فيها أنني رزقت بحفيدي الأول (مجد)

ولا تزال تلمع في صفحة الذاكرة حادثة يشدني دوماً أن أذكرها، أتغنى بها، أرددها. فعلى كل الترتيب والنظام والأشياء الرائعة التي كنت أعايشها وأعيشها مع إخواني في الأسر كانت وحدة الصف بالذات والاجتماع على حب الوطن وتقديمه على كل شيءٍ، حب الأخوة والإيثار والاتفاق الدائم يشدني دونَ غيره وقد دونتُ ذلك: تحديداً في أيام الحسم العسكري في غزة قامت إدارة السجن بفصل أسرى حماس عن أسرى فتح تعزيزاً للانقسام البغيض، ويوماً بينما نحن جلوس في قسمنا سمعنا جلبة في الخارج فإذا باليهود يؤذون إخوتنا في قسم أسرى فتح، وبدأنا بالتكبير تضامناً مع إخواننا الذين يتعرضون للأذية، وعادة الجرذان يخشون التكبير كثيراً، حتى تقدم رئيسهم منا وخاطبنا بتعجب واضح: فتح تقتلكم في الخارج، وأنتم تدافعون عن عناصرهم هنا! فرددنا بقلب رجل واحد ولسانٍ أسير صامد: نحن حركة أسيرة لا تنظيم يصد دفاعنا عن بعضنا البعضْ. وسجلت في هذه الليلة ملاحظة كنت أتمنى أن تصل: لا يلهينكم الانقسام عن الوطن، فلعبة الانقسام مصنوعة بأيدٍ صهيونية خالصة.

اليوم الذي فتحت فيه نوتة المذكرات ورسمت مربعاً حول التهمة والحكم وكدت أمزق الصفحة لولا أن يداً خفيةً تدخلت وجعلتني أخربش بجوارها: (في هذا اليوم ستطأطئ رأسك بانكسارٍ وهزيمة أيها القاضي) الآن يقرأها خاطف النوتة ويتحسر. في هذا اليوم بالذات دونتُ في مذكرتي قصة عن لعبة «الدومينو» واللاعب المحترف في قسمنا وابن أخته، فقد أنهى هذا المحترف محكوميته وشارف فرج الله له على الوصول، ناداه ابن أخته قائلاً: تعال يا خال سيلحق الأبطال بك الهزيمة هذا اليوم حتى تتذكرهم للأبدْ. ولم نبدأ اللعب بعد إلا وقطعنا التكبير في السجون فاجتمعنا وأصغينا للخبر وإذا بأحد الأصوات المبشرة يقول: إخواننا في قيادة حركة حماس نجحوا في عقد صفقة تبادل مع العدو ستشمل ألف أسيرٍ. وعلا التكبير واختلطت الأصوات تكبيراً، بكاء، تهليلاً، وتهانٍ. تعانقنا وابتسمنا وتصافحنا وتساءلنا أيضاً عن من سيكون هؤلاء الألف. ونسينا لعبة الدومينو!

آخر الأيام، يقول جندي جبان: إياد موسى سالم العبيات لن تعود إلى بيت لحم، بل ستعاقب حتى في الإفراج بالإبعاد إلى أرض الموت. غزة، فأرد: بل إلى جنة الأرضِ أيها الجرذ، ولعائلتي مع غزة الغالية حكايات فأخي مبعد إليها منذ أحداث كنيسة المهد، ويعيش في أفضل حالٍ، وتقول معاقب! بل سيجمع الله جند الحق في غزة لتشع منها هزيمتكم أيها الأوغاد.

ووصلتُ غزة، وتبعني إليها أهلي، لكن ابنتي منعت من الوصول بحجة الوقف (أمنياً) وهذا هو الألم الوحيد الذي أشعر به، فأنا مشتاق إليها رغم أنني مطمئن عليها مع زوجها، وها أنا أؤسسُ لحياةٍ راقية مستقرة في ظل الإسلام وأهله في غزة التي أشعر أن الله تعالى أكرمني بالعيش فيها، وسأشتري مذكرة جديدةً لأبدأ فيها التدوين عن حياتي في حضن العزيزة غزة!

في عام ٢٠٠٢ احتلت «القوات الإسرائيلية» مدينة بيت لحم في الضفة الغربية في محاولة للقبض على المقاتلين الفلسطينيين فلجأ العديد من المقاتلين إلى كنيسة المهد. في نهاية المطاف، تم التوصل إلى اتفاق يتمثل في إبعادهم إلى قطاع غزة لمدة سنة. .ولا يزالون عالقين في غزة إلى الآن.

الاعتصام الأسبوعي لمناصرة الأسرى كل يوم إثنين أمام مكتب الصليب الأحمر.

# حقائق وأرقام عن الأسر

منذ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧، يتم اتهام الفلسطينيين وبشكل روتيني بارتكاب جرائم تخرق القانون العسكري الإسرائيلي و تتم محاكمتهم في المحاكم العسكرية.

خلال الخمس والأربعين سنة الماضية، تم اعتقال أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني بناءً على الأوامر العسكرية الإسرائيلية الصادرة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وهذا يساوي حوالي خمس السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، ويعادل أكثر من خمسي مجموع السكان الذكور في فلسطين.

لا حدود للاعتقالات، فقد تحدث في أي وقت وفي أي مكان، ويتم عادة اعتقال الفلسطينيين عند نقاط التفتيش، على المعابر الحدودية، قبالة الشارع، أو من بيوتهم في منتصف الليل.

وعقب الاعتقال، يتم تكبيل المعتقلين بالأصفاد البلاستيكية ويسيرون معصوبي الأعين. حال تقييدهم يبقون في الانتظار واقفين أو راكعين لفترات طويلة من الوقت قبل إلقاءهم داخل سيارة جيب عسكرية، وأحيانا تكون وجوههم للأسفل، لكي ينقلوا إلى مركز للاستجواب.

أثناء عملية النقل التي يمكن أن تستغرق عدة ساعات، يتعرض الجنود الإسرائيليين للمعتقلين بكثير من الإهانات و يتم الإبلاغ بشكل دائم عن حالات من الضرب، والرفس، والشتائم والتهديد والإذلال المتعمد.

لا يتم إبلاغ المعتقلين الفلسطينيين بأسباب القبض عليهم، ولا بالمكان الذي سيؤخذون إليه.

معظم الأطفال المحتجزين يتعرضون لنفس المعاملة.

فتاة فلسطينية أفرج عن جدها في صفقة التبادل الأخيرة عام ٢٠١١ فيما لا يزال والدها وعمها يقبعان في السجون الإسرائيلية.

# البطلة زوجة البطل

**أرينا سراحنة**

بقلم: رشا فرحات

دخلتُ إلى هذا المعتقل، منذ تسع سنوات، تحديدًا في يوم ٢٠٠٢/٥/٢٣، ثم حكم عليّ ذلك المحتل بالسجن لمدة ٢٠ عامًا، وأنا لم أجد تهمة أحاكم عليها أنا وزوجي، فما التهمة إلا مساعدة زوجي في نقل الاستشهادي «عيسى بدير» لتنفيذ عملية استشهادية، وهل المساعدة في إيصال الحق تهمة، تسع سنوات مضت، أعدها عدًّا باليوم والساعة والدقيقة، «فراقات» كثيرة مررت بها منذ قررت السير في طريق المقاومة، حتى دخلت هذه الزنزانة، وأفقت على وجع أم بعيدة عن أهل، ووطن، وابنتين رضيعتين، ابنتاي اللتان تقفان في بقعة أخرى بين الفراق والفراق؛ فكل منهما تعيش في كنف جدة مختلفة عن الأخرى، ياسمين تعيش مع أمي في أوكرانيا، وغزالة تعيش مع جدتها في الدهيشة، وكل ما تجمعني بهما خيالات لوحات زيتية، أتقنت رسمها بأناملي، فأصبحت ونيساً لي في وحشة الزنزانة التي تفجرت فيها أشواقنا.

لا أدري كم من الأوجاع أستطيع أن احتمل، أو كم من الأوجاع تحملت في تلك السنوات، أوجاعي، ثم أوجاع زوجي إبراهيم المعتقل في زنزانة قريبة بعيدة عن ذلك الجدار الذي يفصلنا هنا في هذه العتمة.

لكنها بقعة ضوء تضيء من بعيد، منذ اختطاف ذلك الأسير الصهيوني، تتسع كل يوم في قلوبنا، وتضيء عتمة الزنزانة، وترسم أحلامًا، أسيّرها في حياتي المظلمة، وأعتاش منها، ربما كان إبراهيم أيضًا في تلك الصفقة، ربما سنخرج، لنزرع على شفاه ابنتينا فرحة هربت منذ سنين، لكنه لم يكن.

إنه اسمي إذًا، سأخرج دونه أيضًا، لكنه الضوء القادم من بعيد، حلمت به في كل ليلة، يتسع ليفتح بابًا إلى الحرية، يخطر في بالي الآن من ضحوا بحياتهم وحملونا على أكتافهم حينما أسروا ذلك الأسير شاليط، فأراهم يركضون أمامنا إلى الجنة، تدلهم أعمالهم ودماؤهم الزكية على الطريق، أشتم روائح دمائهم العطرة، وقد أصبحوا شهداء الآن، وأدعو لهم بأن يوسع الله في قبورهم، ويزرع الفرحة في صدور أمهاتهم كما زرعوا تلك الفرحة في قلبي.

أذكر يوم صدور ذلك الحكم بإبعادي إلى أوكرانيا، إنه اعتقال آخر، شعرت يومها كيف يكون الرفض عزةً، ومجدًا وتاجًا مرصعًا فوق رؤوسنا، لا أرضى بحكم يبعدني عنك يا إبراهيم، ولا عن ابنتي التي تنتظر خروجي بصبر نافذ، ولا عن وطن بلغت فيه أقصى مناصب المجد، إنهم أهلي، إنهم عائلتي، أنا البطلة زوجة البطل، آثرت البقاء خلف الزنزانة، لن أخرج من مهانة إلى مهانة، لن أقبل بحكم يبعدني عن قضية راهنت عليها، لتبقي هي، قضية حق، ولأبقى أنا خلف الزنزانة.

ولكن. ها هو يأتي الفرج، إنه يوم الإفراج، في حافلة الحرية أجلس، تفصلني عن الحرية بعض دقائق، إنها أطول كثيرًا من تلك السنوات التسع التي مرت، فيها أختلس نظرة إلى الوراء، فأرى إبراهيم كعادته مبتسمًا من خلف قضبان زنزانته، يرسل أشواقه، ولا ينسى أن يحمّلني بعضًا من همومه، أحفظها عن ظهر قلب كما أحفظه، تؤرقني تمامًا كما تؤرقه، بها أعيش، وبها أقوى على مواجهة محتل لا يمل ولا يكل، أنا التي اعتدت تحمل أصناف الهموم، أنا التي أبتسم الآن وأفرح، فسأحتضن ابنتاي بعد دقائق، وقد كنت أظن أن الفرحة قد تخطتني منذ زمن طويل، لقد كبرت ابنتاي الآن، هل يا ترى سأتعرف على ملامح وجهيهما، هل ستتعرفان على وجهي، أم أن سوداوية المعتقل غيرت ملامحه.

دلتني على وجهيهما رسالة ابتسامة واحدة من شفاههما الصغيرة، تسرع قدماي، تركض نحوهما، تبكيان، تصرخان، مثل زهرتين جميلتين، أحتضن أيديهما الصغيرة، أقبلهما، أبكي، أصرخ، أنظر إلى ضوء الشمس الساطع من بعيد، أرسل له أشواقي، يعلم تمامًا، وجعي، أنا هنا أستنشق نسائم الحرية، وأبعث عهدا لك يا إبراهيم، مع قبلاتي المشتاقة، سأبقى أنتظر هنا، صبرًا يا إبراهيم، فحتمًا سيأتي الفرج يومًا.

أرينا سراحنة تعانق ابنتيها عقب الإفراج عنها.

# ذكريات لا زالت تؤلمني

**سليم الكيالي**

بقلم: خالد كريزم

عند وصولي لأرض قطاع غزة لم أُفكر بشيء سوى أن الألم لا زال يشُق طريقه إلى أنحاء جسدي حزنًا على إخوة لنا ما زالوا يقبعون في سجون الاحتلال. نحن خرجنا نعم. لكننا لن ننساهم لأننا نعلم جيدًا مدى قسوة السجن والسّجان.

بعد خروجي. أيقنتُ بحق أن شريط السلك الشائك لا يبتعد مسافة كبيرة عن بيتي في حي الزيتون. تذكرتُ حينها أنني كنتُ أتمنى أن أقف لأرسل لعائلتي طائرة ورقية وبعضًا من القُبل، آملاً أن تستطيع اختراق رادارات العدو وأسلاكه الشائكة، وتصل إلى وجنتيهم.

كانت اللحظة الأصعب في ذلك السجن المعزول عن العالم الإنساني. عندما نطقت محكمة الظلم بالحكم عليّ بـ٢٩ عامًا. بِتُ ليلتها طريح قلق لا يهدأ لي بال. في تثاؤب شديد من كثرة النعاس. أحاول النوم جاهدًا كي أُسكت صوت النطق بالرقم «٢٩» الذي كان يتردد ويتكرر في أذني.

وبعد فترة قصيرة. لم أعد أُلقي بالاً للأرقام والكلمات. حاولتُ إنهاء الأمر والتعود على الحياة من جديد. أمضيتُ حوالي ثلاثة عقود في زنازين أشبه بالقبر. أصارع عذاب الألم، وبطش القهر، وأنات الفراق!

مرت ثلاثة عقود من الزمن، حملت في طياتها مناسبات وذكريات على مر الأيام، كانت في محصلتها سلسلة من العذاب المتواصل، لم أر خلالها ابنتي التي كانت حين اعتقالي جنينًا في رحم أمها بفعل سجان أحمق سلبني وإخواني وأخواتي من الأسرى الحق في العيش الكريم.

ثلاثة عقود اكتويتُ فيها بنيران البعد القسري. اشتقتُ أن ألامس قدم أمي التي بلغت من العمر ٩٥ عامًا، وأن أحتضنها بين ذراعيّ حضن لا ينقطع وصاله، لأطفئ لوعة شوق طال انتظارها. بقيت ذكرياتها عالقة في ذاكرتي وأبت أن تمحوها السنين من حياتي. عشتُ كل دقيقة بدقيقة مع عائلتي وأنا داخل الأسر. بداية بجولات التحقيق القاسية التي مررت فيها، والحكم القاسي الذي أرهق قلبي وهدم عمري.

التحقتُ في صفوف حركة فتح في بداية السبعينات، اعتقلتُ عام ١٩٧٦م، وحُكم عليّ

سليم الكيالي في أحضان أسرته.

بالسجن الفعلي لمدة ثلاث سنوات، لم أهدأ حينها وأنا أرى أرض فلسطين الحبيبة تُنتهك. فعُدتُ وشكلتُ مجموعة مقاتلة شاركت بقتل عدد من الجنود الإسرائيليين الذين يأتون إلى قطاع غزة بصورة تجار، واعتُقلتُ وحُكم عليّ بالسجن المؤبد كباقي أفراد مجموعتي.

وتنقلنا كثيرًا بين السجون. زُرت الكثير منها. لم تختلف طبيعتها أو شكلها. الأمكنة تتغير والمسافات تتبدل لكنّ السجان واحد. كان الذي يبعث على الصبر وجود رائحة أهل فلسطين في المكان من إخواننا الأسرى. دائمًا ما كنا نُصبّر بعضنا البعض. ويحمُل الواحد فينا همّ الآخر، وأملُنا جميعًا يتمثل في الخروج من حياة الغرف الصغيرة إلى ملامسة تراب الوطن.

وعندما جاءت تلك اللحظة وسمعتُ بخبر الصفقة. انفجرتُ بالبكاء وانتقلت مشاعري من مشهد لآخر. أمر لا يُصّدق. فقدتُ حينها القدرة على التعبير عن الفرحة في هذا اليوم. ما كنتُ لأصدق أن الجدران الضيقة التي عشت فيها أصبحت هشة. لم أتخيل أن الشبابيك المُظلمة أدخلت النور إلى قلبي لتحييه من جديد.

كان السجن في تلك اللحظة التي أتذكرها جيدًا أشبه بخلايا النحل لا تعرف السكون. يسجدون لله شكرًا ويستمرون في دعاءهم لإتمام الصفقة. لم ألتفت كثيرًا إلى الأجواء المحيطة حولي. فقط جلستُ أفكر وأجول بنظري إلى خارج حدود السجن وأتخيل. كيف سيكون شكل منزلي وعائلتي بعد أن تركتهما فترة طويلة من الزمن؟

كان همي الوحيد يكمن بالتفكير في لحظة اللقيا. هل سأعرفهم؟ كيف سيعرفونني؟ هل سأحتضنهم أمام كل هذه الحشود التي كانت تنتظرني أمام المنزل؟ هل سأشعر بما كنت أسمعه عن دفء حضن الأهل؟ وغيرها من الأسئلة الكثير الكثير.

وبعد الوصول والإحساس بتلك اللحظات. عاودت الأيام تؤلمني لما ذقته من عذابات وآلام في ذلك المكان البعيد الذي لا يشعر بقساوته سوى من دخله. حزنًا على من لا زالوا بداخله.

# وبشر الصابرين

**روحي مشتهى**

بقلم: رشا فرحات

كان ذلك في يوم ١٩٨٨/٢/١٣ حينما خرجت من بيتك مصابًا، وأنت تقوم بإعداد عبوة ناسفة، لتنقل بعدها إلى زنزانة وتغيب أربعة وعشرين عامًا، لم تكن كثيرة يا روحي، لم تكن طويلة، أتراه الصبر هو من قصّر طول السنين، فلولا شعرك الأبيض، ولولا قدرتك على العد، لقلت أنها مضت سريعًا، وكأنها أيام، رغم أنوفهم سأقول أنها مضت سريعًا، وأتطلع لذلك الحلم وقد تحقق على يد أبطال راهنت عليهم يومًا، هناك قلوب ما زالت تفكر بك، من قالوا أنهم قد نسوا جراحنا كانوا مخطئين.

جميلة تلك الصفقة، باردة على قلبي، جمال الصبر الذي آمنت به، وتحليت به، وصعدت به الجبال العاليات، فلا ضربة سجان، ولا عزل الزنازين يهم، وكتاب الله بين يدي، أتشبث به، فأبتسم وأبتسم، وأنام مرتاحًا، ثم أنتصر، إنه الانتصار يضيء الطريق المعتم منذ أربعة وعشرين عامًا.

وتخطرين في بالي، وأتألم، لما كابدته من عناء منذ زواجك بي قبل أربعة وعشرين عامًا، كنتِ عروسًا لم يمر على فرحتنا سوى ستة أشهر، وقررت الصبر مثلي، وقررت مساندتي، وعرفت وقتها أي النساء أنت، أتلهف لرؤيتك الآن وقد لمعت علامات الحرية من بعيد، ليلة واحدة تفصلني عنك، ما بال هذه الليلة طويلة لا تمضي، أترى لأنها الليلة الأخيرة يا أبا جمال، أم إنه الشوق لتلك المرأة التي دخلت حياتك لستة شهور فقط، وتركتها وراءك تتشبث هي الأخرى بحبال الصبر، فصبرت حتى عجزت عن تخيل صبرها، أرسل لك كلمة واحدة يا أم جمال، من زنزانتي وفي آخر ليلة لي هنا، الله أكبر يا أم جمال، ألم أقل لك أن الله أكبر.

كم يا ترى من الليالي سهرت تتلحفين أحلامنا وذكرياتنا، وتمسحين دموع الشوق عن خديك، وكم يا ترى من ساعة مرت وأنت تحتسبين، ما أكبر قلبَك وما أروع تلك البطن التي حملتك، حان الآن موعد اللقاء بعد أن ابيضَّ الشعر وذهب الشباب، ولكن بقي الوفاء والعهد والإخلاص وبقيت الرجولة والبطولة والتضحية.

خرجت يا أم جمال، خرجت وليس هناك مكان في جسدي يخلو من ضربة سجان، وفي نظرات عيناي: لا تخلو نظرة من عتمة زنزانة سوداء، وفي جسدي علقت ذكراك، ومن عيناي أتطلع للحرية، فألتمس الصبر والثبات منك، فكم من أوجاع التأمت بكلمة منك، وبنظرة ثبات ترسلها عيناك، وبدعوات مؤمنة من قلبك المؤمن، وأنا ما زلت أعد الليالي والأيام، حتى تأتي هذه الليلة، كم هي طويلة هذه الليلة.

أنظر حولي، وأنا أخرج من الزنزانة مودعًا تلك القلوب الأسيرة الباقية خلفي، والتي اجتمعت معها على فراش واحد، وأكلت معها في صحن واحد، صبرت معها صبرًا واحدًا، وفي قلبي غصة وفي العين أتطلع لرؤية من أحب، فأبتسم رغم الحزن المعربد في ركن من أركان القلب الذي بات مقسمًا، وبين كل قسم أتلمس صبرًا آخر، وفوق كل ما أحمل من هموم، يبقى هم المقاومة، هم التحرير، هم النصر، لآخر العمر سأحمله على كتفي حتى يتحقق.

أتذكرين يا أم جمال حينما طلبت منك، أن تتركيني وتبدئي حياتك من جديد، هل تذكرين ماذا قلتِ: سأنتظرك حتى آخر العمر، ومنذ ذلك اليوم، وصورتك تكبر في عيناي أكثر، ومنك أتلمس الصبر والقوة، فأغدو أنا أقوى الرجال.

أنزل الآن من حافلة الأسرى، في معبر رفح، ترتجف يداي، وتخطو قدماي أول خطواتها على أرض الحرية، أبحث عن وجهك بين الوجوه، أدور بابتسامتي، فتقفين أمامي، قوية، مؤمنة، لترفعي يدك بتلك التحية العسكرية، ثم ترمين بعناق المحبين بين يداي، لترمي عناء السنوات السابقات، قوية، صابرة، محتسبة، فتيقنت أنك زينة نساء هذه الأرض.

روحي مشتهي مع شقيقه بعد فراق دام ٣٢ عاماً.

# صمود رغم الألم

**إبراهيم جندية**

بقلم: هيثم غراب

معادلة صعبة تلك التي نحياها داخل السجون؛ ففي العادة والطبيعي أن الإنسان إذا ما تألم بدا عليه ذلك وعبر عنه لغيره، واستشار المختصين وتناول العلاج ليشفى من هذا الداء.

لكن الأمر مختلف تمامًا داخل هذه الزنزانة التي قُدر لي أن أحيا بداخلها ردحًا من الزمن؛ فالألم إذا ما حل بالأسير لابد أن يبدو متماسكًا حتى لو أدى به ذلك للموت دون أن يعطي السجان مساحة للشماتة أو فرصة ليتذلل له الأسير ليعطيه الدواء.

كانت فترة صعبة تلك التي قضيتها في مسالخ التحقيق مشبوحًا، لكني لم أكن أتوقع في أسوأ الأحوال وأشنع السيناريوهات أن يحدث معي ما حدث.

خرجت من غرف التحقيق إلى السجون، وبدأت أشعر بآلام في أقدامي بداية، كان الألم مبرحًا، حاولت الصمت والركون إلى الراحة بعض الشيء إلا أن الأمر لم يعد بالمقدور السكوت عليه.

لكنني في السجن، ومعنى ذلك أن العيادة الموجودة هناك ليست لتخفيف الآلام وإنما زيادتها وقرنها بحالة نفسية سيئة تزيد من ألم الأسير وتضيف إليه آلامًا أخرى.

إلا أن الغريق يتعلق بقشة؛ فآلامي أصبحت لا تحتمل، لم أعد قادرًا على الصبر والتحمل، فكانت عيادة السجن بمثابة القشة التي كنت آمل أن تنقذني من الغرق أكثر في أوحال الألم والمعاناة.

توجهت إلى العيادة وقابلت الطبيب هناك وببرود أعصاب ولا مبالاة تفوق حدود الوصف، قال عبارة بتّ لا أطيق سماعها (ما عندكاش اشي) بمعنى أنني سليم وأشتكي كذبًا وزورًا وبهتاناً!

رفضوا في عيادة السجن تشخيص حالتي، أو نقلي إلى مكان مختص للتعرف على أسباب ألمي حتى فقدت القدرة على الحركة تمامًا، وأضحيت غير قادر على المشي، وأحتاج إلى المساعدة في كل أمور حياتي.

فأصبحت غير قادر على تناول الماء إذا عطشت، غير قادر على الوقوف لأداء الصلاة ومناجاة ربي واقفًا كباقي إخواني، غير قادر على الخروج لساحة الفورة والسير لتحريك الدم في عروقي التي تجمدت بفعل قلة الحركة، ليس هذا فحسب بل لم أعد قادرًا على القيام لقضاء حاجتي وأصبحتُ بحاجة لمساعدة اثنين من إخواني للذهاب إلى مكان قضاء الحاجة.

كانت فترة صعبة للغاية على نفسي، فها هم إخواني يتحركون ويقومون رغم أسرهم، وأنا أسير الزنزانة وأسير عدم القدرة على الحركة، كانت فترة صعبة جدًّا اكتفى خلالها طبيب السجن بإعطائي مسكنات تطفئ قليلاً من نار الألم الذي يجتاح قدمي وظهري.

ازدادت حالتي سوءًا وتحت ضغط إخواني الأسرى ومطالبتهم الدائمة بعلاجي، تم نقلي إلى مستشفى الرملة عبر رحلة لا أريد أن أروي تفاصيلها، فهي بحد ذاتها معاناة وإذلال يفوق الوصف ويعجز اللسان عن مجاراة أحداثه ومجرياته.

عرضت على طبيب مختص، والذي ذهل بما رأى؛ فالمشكلة لدي كانت قد تفاقمت بعد مرور ما يزيد على ثلاث سنوات منذ بدء الألم، فالمشكلة عندي في خمس فقرات في العمود الفقري وقد تفاقمت جراء الإهمال وعدم العرض على طبيب مختص في وقت مبكر، ولا زالت كلمات ذلك الطبيب المختص ترن في أذني حتى اللحظة حين قال معقبًا على حالتي المزرية: «لو أنك حضرت إلينا من البداية لتم علاجك بصورة سهلة وبسيطة».

دخلت معه في جدال، وبدأت أبرر له سبب تأخري مرجعًا ذلك إلى تباطؤ ورفض إدارة السجن لإخراجي من البداية للمستشفى، فأبدى الطبيب عدم اهتمامه وأخلى مسئوليته من القضية معتبرًا أنه فقط يتعامل مع الحالات التي تصله.

بقيت في مستشفى الرملة شهرين كاملين، تلقيت خلالها الرعاية والعلاج، استعدت خلالها القدرة على المشي بشكل طبيعي.

عدتُّ إلى السجن وكم كانت سعادتي غامرة أن عدت لإخواني، أقف على قدمي، وأستطيع الحركة والتنقل بشكل طبيعي، أروح وآتي، أقضي حاجتي، وألبي رغباتي بنفسي، بعدما فقدت القدرة على فعل ذلك وقتًا طويلاً وفترة ليست قصيرة كانت بمثابة قطعة من العذاب.

لا يمكن لهذا المحتل إلا أن يمارس هوايته المفضلة في التنغيص على الأسرى والتنكيد عليهم لانتزاع الابتسامة من وجوههم، وقتل كل لحظة سعادة وفرحة، فقد بدؤوا بعد فترة وجيزة من عودتي إلى السجن بمنع الدواء الذي يعتبر هامًّا لحالتي وكانت الحجة على الدوام أن الدواء غير متوفر في عيادة السجن.

وبعد عام من خروجي من المستشفى عاودتني ذات المشكلة، وفقدت قدرتي على الحركة من جديد وتكرر نفس السيناريو من الذهاب للمستشفى وعدم القدرة على الحركة والعودة إلى السجن، وإيقاف العلاج عني مرة أخرى وتدهورت الحالة مرة ثالثة.

هنا كانت وقفة جادة وقفتها مع نفسي أنني لن أعود إلى المستشفى ولن أشكو مرضي لأحد منذ الآن؛ فقد وصلت إلى قناعة أنهم لا يريدون علاجي، بل يريدون استمرار مرضي حتى يقضي علي بالتدريج.

بدأت مرحلة علاج نفسي بنفسي، وقمت بتنظيم حمية صحية لإنقاص وزني وممارسة بعض التمارين التي نصحني بها بعض الإخوة الأسرى المختصين، حتى أصبحت قادرًا على التحكم بآلامي دون الحاجة إلى سجاني كي يمن علي بالعلاج أو يوصلني إلى حالة أتوسل فيها إليه طلبًا لنقلي للمستشفى أو طلب حبة الدواء.

نجحت في الحفاظ على صحتي واستعادة قدرتي على المشي بشكل طبيعي مع تحمل بعض الآلام التي بدأت تخف وتقل جراء الحمية والرياضة، وشكلت بذلك نموذجًا من نماذج الصمود والثبات أمام صلف السجان وظلم إدارة السجون.

# مثقلاً بعزلتي

**عبادة بلال**
فيحاء شلش

كثيرة هي الأيام بل الساعات التي تتزاحم أحداثها في قعر الذاكرة رافضة التلاشي؛ فأعوام الحنين إلى كل ما يحمل عبقًا من الأرض كان يغذي لدي شعورًا بالحزن الصامت والتحدي الساكن أحيانًا كثيرة. وسنوات الأسر لا تشكل في نفسي إلا حياة أخرى تتراكم فوقها الآهات والضحكات المنقوصة.

ومن بين ملايين الدقائق التي حشوت تفاصيلها في ذاكرتي لا أستطيع إلا العودة إلى عسقلان، هناك المعنى الحرفي للقبر الدنيوي وآلام الظلم الممزوج بحقد السجان. هناك تُختزل كل الحكايا في حروف قليلة قد تشكل كلمة «الموت»، لا أقل منها تأثيرًا. هناك عرفت كم ضيق الحياة مزعج يضرب بعمقٍ أي محاولة للتبسم.

كنت في عزل سجن إيشل حين جاء قرار نقلي مع أخي الأسير أحمد المغربي إلى عزل عسقلان، ظننت أن الأمر سيان في البداية، وأن العزل لو كان في المريخ فهو في نهاية الأمر عزل انفرادي. كبلوا كل ما يتحرك في جسدي وجسده وقيدوا حتى الأنامل فينا، فتشونا مرات عجزت عن تذكرها وأنا أحس بيد الجندي النجسة تتفحص كل خلية في جسدي، كان صوت أنفاسه يخترق أذناي فأحاول الابتعاد عنه ليس خوفًا ولا فزعًا، بل كرهًا وغضبًا، ورغم أن عيناي الكفيفتين لم تريا صورته إلا أن خيالي وعلى الفور رسمها وفقًا لتحركاته وصوته الفوضوي. لن يكون أكثر من جندي مستجلب إما من غابات إفريقيا أو شواطئ أوروبا أو صقيع روسيا. لم أكترث لأمره بقدر انزعاجي من كثرة تحركه بالقرب مني. سرنا إلى سجن عسقلان عبر «البوسطة» على الكراسي الحديدية القاسية الباردة، تسير بنا الحافلة وتُدخل كل دوارٍ إلى نفسي فأطرده بالاستغفار والدعاء.

وصلنا إلى عزلنا الجديد، وبعد إجراءات مملة لساعات أُدخلنا إليه ونحن نظن أننا سنريح أنفسنا من عذابات الرحلة العقيمة. ولكن صوت أخي أحمد بدأ بالتغير فور إدخالنا إلى الغرفة ولم أعرف السبب؛ ففقدان البصر يكون نعمة أحيانا! أحمد لم يشأ إزعاجي بشيء وبادر بتفقد الغرفة إن صحت تسميتها كذلك. سرت بضع خطوات فقط إلى الأمام

فارتطمتُ بجدار، مددت يدي إلى اليمين فارتطمت أيضًا بالجدار، وإلى الشمال فصدمتُ جسد أحمد. «أين نحن؟» قلت بعبارة مستنكرة متعجبة. «في قبرٍ جديد» كذا ردّ أحمد بتهكّم وقهر يكاد يذيب العزل.

لم يأخذ منا تفحّص الغرفة سوى بضع دقائق حتى اكتشفنا أننا في صندوق إسمنتي صغير له باب حديدي تزج فيه أرواح بشر تحت اسم «أسرى». ولم يزد فقداني لبصري إلا عذابًا فوق عذاب في غرفة كلما تحركت فيها اقتربتُ من خطر الموت نتيجة اصطدامي بأي شيء قد يودي بحياتي. في تلك الأيام العشرين التي مكثت فيها مع أحمد داخل عزل عسقلان كان الوقت يمر بطيئًا مثقلاً بتعب الأسر وحرقة العزل. هناك أمضيت جلَّ الوقت في التسبيح والاستغفار والدعاء وتلاوة آيات من كتاب الله. مرات كثيرة كنت أغيب فيها بذهني شاردًا هاربًا من القيود المميتة إلى قيود أخرى تكبل أشقائي الأربعة منتشرين في سجون أخرى. أحيانًا كنت أسمح لنفسي أن أستذكر نابلس وشوارعها وأزقتها وحارات بلدتها القديمة ومنزلنا الواسع الرحب، وكم أيقنتُ أنه كذلك من داخل قبري هذا. كنت ألعن الأسر في نفسي ولكن أشكر الله على ابتلائه لي. أتلمس كل شيء حولي بكفّي وأحاول التمتع بعذاب السجان لي محولا إياه إلى حسنات في موازيني. كم أرغمونا على سماع لعنهم للذات الإلهية وشتمهم لها، فنشعر وكأن الروح وصلت إلى الأعناق تُنتزع خجلاً من الخالق الجبار. كنت لا أجد سوى العبرات حياءً وحزنًا فوق ما أسميه جدلا بالسرير وأنا أردد «يا رب اغفر لي، ليس بيدي شيء إلا الدموع».

ربما كانت تلك أيامًا مريرة بحقٍّ، قاسية بلا شك، موجعة بالطبع، ولكن أخي أحمد كان يحولها إلى جنةٍ تسمو فيها روح الإخاء فوق كل التفاصيل الحياتية التافهة. كان كالأم الحنون يخشى عليّ من أي شيء، ينبهني إذا اقتربت للارتطام بشيء ويساعدني حين نتناول الطعام ويكسر عزلتنا بأحاديثه. كان يرقى بي إلى عالم آخر لن يفهمه السجان أبدًا، نسافر سوية إلى رحاب المعاني الصادقة لكل ما تعلمناه نظريًّا عن معنى الأخ والصديق، نقوي بعضنا على الطاعات ونحتسب ثقل العزل عند خالقنا. بقينا كذلك حتى فرّقنا عزل جديد يحاول قتل كل عصب حي فينا ولا نجد أمامه إلا السجود شكرًا أو الدعاء صبرًا.

# بين العتمة والعتمة ينسل ضوء الحرية

**علاء البازيان**

بقلم: رشا فرحات

أرتب أغراضي، أتحسس ملابسي وحقيبتي، واجمع ما تبقى من ذكريات المعتقل الملتصقة بي والتي تأبى الرحيل بعيداً، على الرغم من هبوب نسائم الحرية، أتلمس وجهي، أعد التجاعيد التي زادت مع ازدياد السنين، نسيت عدها، لم تعد تعنيني الأرقام كثيرا، تمتزج جميعها لتسكن قلباً تفجرت فيه القوة والمقاومة في يوم من أيام ربيع العمر القديم، فعادت تبصر ولا تبصر، أنه ضوء الشمس ينسل سريعاً فيطلق طيور الحرية لترفرف، فوق قلبي المذبوح من الوجع، وذكريات الانتظار، تتطاير فتحتل مكانها دموع الفرح، انه الفرج يا علاء، صدق يا علاء.

من هنا، من تلك النافذة الموحشة مرت جنازتك يا أمي قبل عام، فتوارت الرمال بدم بارد لا يرحم، أحتضنها حلماً قديما كان، ثم تقسو الأقدار أكثر فتمر جنازتك يا أبي، وبين النعش والنعش، أشهر معدودات، فترقدان بسلام، وترقد معكما أشواق دفنت في ذلك الصدر الطاهر في جوف حفرة في القدس العتيقة، فيخال إلي جسدكما وقد غطته، رياح الشوق، دون أن تراهما عيناي، ودون أي من كلمات الوداع، ثم تنزل دمعتان، من تلك العينان، و ينبض الصدر الموجوع، ما زال هناك أمل.

يعود إلى حقيبته، يختلس التفاته إلى ما قبل خمس وعشرين عاماً، بصر مفقود، وقنبلة تختلج ذكرياتها بين العقل والزنزانة، فتزيد من صمود وثبات وفخر. وبينهما جسدي المسجى فوق السرير الأبيض في مستشفى هداسا حيث كنت أرقد مصاباً مدرجاً بدمائي بعد عملية تفجير قمت بها فخسرت فيها ضوء عيناي، ثم جسدي المجرور عبر ممرات المستشفى بدمائه الملطخة، بدون رحمة أساق أنا المذبوح المصاب فاقد النظر، كالذبيحة المكبلة بسلاسل من حديد، لأعذب في معتقل لا يعرف معنى لدماء تنزف.

يكرر : إنها خمس وعشرون عاماً يا علاء، عمر بجانب عمرك، اليوم تخرج من قبرك لتعود إلى الحياة، كم كان ذلك الموت صعباً، وتعود الذكريات لتنبش تلك الذاكرة، فتؤلمني ما تؤلم، وتزداد نخرا في جراحي الملتهبة، ومياههم الباردة تسكب على جسدي

علاء البازيان في حفلة زفافه.

المعرى، فيقشعر ويرتعش، ثم يزداد ثباتاً.

ليس حلماً، تلملم أغراضك الآن، أخيراً هو الفرج يا علاء، غدا ستجلس بجانب قبرهما لتشكو لهما الوجع، وتشاركهما فرحة الحرية والانتصار، غدا تستمد منهما طاقة تعيدك إلى الحياة من جديد. الحياة يا علاء، الحرية، لم تعتد تذوق طعم الحرية، أتراها أتت متأخرة، بل هي أتت متأخرة جداً، فما بقي من مخلفات المعتقل إلا جسد عليل وعينان معتمتان، وذكريات سوداء، وهناك أيضاً بصيص أمل، من هنا إذن سأبدأ.

فلسطين، غزة، ٨ أبريل ٢٠١٢. وقفة أمام المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الأحمر بمدينة غزة ترحيبا بالإفراج عن الأسير الفلسطيني إبراهيم بارود بعد اعتقال دام ٢٧ عاماً في السجون الإسرائيلية.

فلسطين، غزة، ٦ يناير ٢٠١٤. أطفال فلسطينيون يحملون لافتات ويرددون شعارات خلال اعتصام أمام المقر الرئيس لمكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مدينة غزة احتفالاً بالأسرى إبراهيم أبو علي، رامي بربخ، ومحمود سلمان اللذين أفرج عنهم في وقت مبكر من صباح يوم الأربعاء من السجون الإسرائيلية. جدير بالذكر أن الأسرى الثلاثة جزء من الدفعة الثالثة للأسرى المفرج عنهم والبالغ عددهم ٢٦ أسيراً نتيجة للمحادثات المستمرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية."

# أكتاف الرجال

**علي العامودي**
بقلم: معاذ العامودي

كنت مربوطًا من قدميّ وقتها، مَعَلَّقًا في الهواء، والدماء تنزل من جسدي، «الجاكيت» مضرّج بالدماء، كل أنحاء جسدي متعبة، مترهلة، أشعر بَخَذَلَان كَبَيْر، وشظايا الرصاص اخترقت أنحاء جسمي؛ فقبل ساعات قد خرجت من اشتباك مسلحٍ في بلدة «أبو ديس» القريبة من مدينة القدس، استمر لسبع ساعات متتالية، واستشهد فيه أخي وحبيبي عبد الرحمن حمدان، كان بجانبي رجلٌ متقدمٌ في السنِّ حيث كان عمري لا يتجاوز الأربعة والعشرين عامًا.

نظر إليّ قائلا: من أنت؟ قلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أتكلم سوى هذه الكلمات في كل سؤال يسألني إياه، تعرفت عليه في فترات سجني لاحقًا رجل رائع مجاهد، ولكني كنت خائفًا أن أتكلم مع أحد فيكون من العملاء أو «العصافير».

بعد شهر تقريبًا حكمت عليّ محكمة الاحتلال الصهيوني بثلاثة مؤبدات؛ فقد شاركت في قتل ضابط «الشاباك» في غزة والضفة «نوعم كوهين» بعملية استدراج كبيرة، هزت جهاز مخابرات العدو «الشاباك»، وهذا فضل من الله، قضيت ١٨ عامًا داخل سجون الاحتلال، إلى أن تحررت بصفقة «وفاء الأحرار».

في المحكمة ضرب القاضي بالمطرقة ناطقًا بالحكم عليّ، لم تهتز شعرة واحدة من بدني، الوطن أكبر مني، ابتسمت ابتسامة المغيظ لعدوي ونزلت من البوابة نحو السجن، على باب المحكمة رآني أحد الضباط الواقفين هناك، أوقفني، ضرب براحة يده على كتفي قائلا باللغة العبرية: «السجن لا يبنى على أكتاف الرجال». فهمت ما يقول، ودارت الساعات والأيام والسنون، ها نحن خرجنا اليوم بعد ١٨ عامًا، تحطم القيد وبقينا نحن، والسجن لا يبنى على أكتاف الرجال!

لم يفهموا الحرية بعد؟

منذ سماعي بالصفقة وأنا ألملم أغراضي، فلا وقت لدي، وعلى أحرّ من الجمر أسابق نفسي بنفسي، ولم أرَ أمام ناظري سوى مصطلح واحد، هو الحرية، والحرية فقط. ١٨ عامًا

قضيتها وسط غرف الزنازين، وأقسام السجون، ثماني سنوات لم أرَ أمي وأبي وإخوتي، واليوم حان موعد اللقاء.

حدثت أخي عبر جوالٍ تم تهريبه للسجن. يسألني عن أهم المشاريع المستقبلية التي سأقوم بها بعد خروجي؟ فقلت له: لا أريد شيئًا، ولا أبحث عن شيء سوى الحرية، لا تكلموني عن زواج أو عمل أو دراسة، بل عن حرية، الحرية فقط.

وحين خرجت من السجن وعانقت الأحباب. تغيرت الحياة كلها أمام ناظري، يا سلام؛ من هذا؟، وابن من هذا؟ وبنت من هذه؟ أطفال لم أعرفهم، وكبارٌ تركتهم أطفالاً، وعدْتُ إليهم آباءً، يعرِّفونني كلٌّ على أبنائه، هذه ميساء، والأخرى غيداء، وهذا علي، والآخر إبراهيم، وأحمد، وسليم.

بعد أيام قليلةٍ من الإفراج أحضر أبي لي منذ الصباح السمك لوجبة الغذاء، كان السمك غالي الثمن، وكان في بيتنا بخانيونس عشرات القطط أخذت سمكة ووضعتها أمام القطة، أكلت القطة، مسحت بيدي على رأسها، وضحكت. نظر إليّ والدي قائلاً: تطعم القطة سمكًا بخمسين شيكلاً الكيلو، قلت له: نعم، فلا يعرف معنى الحرية إلا من فقدها. أرجو ألا تعود أيام السجن، ما أصعبها من أيام.

# سجالٌ مع ضابط الشاباك: وذكرياتٌ من «مقابر الأحياء»!

**فرسان خليفة**

بقلم: محمد المنيراوي

في غياهبِ سجون الاحتلال رجالٌ وحرائر في ريعان الشباب. أُجبرنا جميعًا على العيش هناك. في عالمٍ لا يُرى فيه غير السواد. سماؤُه ظلماء بلا نجوم أو قمرٍ. معتمٌ ليلُه ونهارُه سواء. أرضُه ساحةٌ ضيقة. هواؤُه رائحةٌ كريهة. في النهاية هو عالمٌ اختطف زهراتِ شبابِنا إلى الأبد.

لكن دعني يا صاحِ أحدثكم عن تجربتي في «مقابر الأحياء». فأنا «محسوبكم» فرسان خليفة، من مخيم عين شمس، أُعتقلت في السابع عشر من أبريل ٢٠٠٣، بتهمة انتمائي لكتائب القسام -الجناح العسكري لحركة حماس- وإيصال شابين لتنفيذ عملية استشهادية في العمق الصهيوني، في أرضنا المحتلة عام ٤٨، وقد حكم عليّ حينها بالسجن ٢٠ عامًا.

تنقلت في فترة سجني إلى عدة سجون. لا يعرف سجّانوها شيئًا سوى القهر والإذلال، وقد كان لي أخوان في الأسر، أحدهما يتبع لحركة الجهاد الإسلامي في «قسم ٧»، وآخر يتبع لحركة فتح في «قسم ٢»، وأنا في «قسم ٥» بسجن رامون. لم نجتمع سويًّا ولو مرة واحدة. أشقاء لكننا في السجون متفرقون، وكأن كل واحد منا من كوكب آخر. لقد أبت إدارة السجون إلا أن تكون إدارة احتلال معدومة الإحساس والمشاعر.

آهاتٌ وآلامٌ تكتمها جدرانُ سجنٍ لا تعرفُ لنفسٍ إنسانيةٍ أيّ قيمة. هي ديدنُنا في سجونٍ أنهكت نفوسَنا دون رحمة. مقيتةٌ إلى درجةِ اللانهاية. خلف الجدرانِ نحتفظُ في صدورِنا بآلامِ المرضِ الموجعة. تضيقُ الصدورُ من قسوةِ الحياةِ في غرفٍ معتمةٍ أمامها سجانٌ غليظٌ شديدُ القسوةِ باع قلبَه قبل الدخول. دموعُنا تتساقطُ في خِفيةٍ عزةً لنفوسٍ لم تجدْ أحدًا في وقتٍ هي بحاجةٍ إلى الجميع.

لكن، مِحنةٌ مثل تلك تلازمنا منذ عشرات السنين تحوّلت إلى منحةٍ، والسجنُ إلى أرض فرحٍ كبير فور اقتحام جدران زنازيننا وتخطي أسلاكها الشائكة «النبأ العظيم». «نجاح

المقاومة الفلسطينية في إرضاخ سجانينا لشروطها وإتمام صفقة تبادل مشرّفة بالجندي الصهيوني جلعاد شاليط للإفراج عن مئات الأسرى والأسيرات من ذوي المحكوميات العالية من تلك السجون المقيتة».

فبينما كنا منذ العام ٢٠٠٦ بين مدٍّ وجزر في سيلٍ من الأخبار التي تتحدث عن اقتراب الصفقة إلا أن الاحتلال كان دائمًا يعطلها ولا يفي بالاتفاقات، وأراد التلاعب بأعصابنا ومشاعرنا. بعدها لم نعد نثق بأي خبر كان عن إتمام الصفقة إلا إن رأينا أنفسنا نتعانق يقينًا خارج أسوار السجن.

وبين أمل ورجاء، كنا مطمئنين أن الصفقة ستتم خاصة بعد الحرب الصهيونية الأخيرة على قطاع غزة أواخر عام ٢٠٠٨، وفشل الاحتلال فشلاً ذريعًا في الوصول إلى جنديّه الأسير، إضافة إلى أداء حماس الرائع المتمثل في الحفاظ على الجندي وعدم الاستسلام.

وفي ليلة إتمام الصفقة شاهدنا خبرًا عاجلاً على وسيلة إعلامية لم نكن نثق بها مطلقًا، مرّ الخبر عنا مرور الكرام دون أي تفاعل من الأسرى؛ فكثيرًا ما كذبت تلك القناة ومزقت قلوب الأسرى بتقاريرها الكاذبة.

قلبنا القناة على أخرى لنتأكد من الخبر، علمًا بأن القنوات المتاحة لنا هي خمس قنوات فقط، اثنتان منها إخبارية والأخريات غنائية لم نستخدمها مطلقًا، فوجدنا كذلك خبرًا عاجلاً إلا أن الشك والريب كان حليفَنا.

وفي لحظات من الصمت المطبق الذي خيّم علينا انفجرنا مكبرين مهللين ساجدين لله بدموع ساخنة ذرفت من عيوننا بغزارة دون إرادتنا. فقد انقطع الشك باليقين فور بدء رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل بخطاب إعلان إتمام الصفقة. حينها أيقنّا جميعًا أن النبأ أصبح حقيقة وأن لحظة الفرج باتت قاب قوسين أو أدنى.

حينها لم تتسع الأرض بما رحبت لأن تحتمل فرحتنا. شعرنا أننا انتصرنا على السجان الذي لطالما جرعنا كأس المر والعلقم. شعرنا برغبة في كسر القيد وأبواب الحديد. دموع العناق والفراق على أحبتنا في السجن حقيقةً كانت من أصعب الدموع على الإطلاق. فكم كنا مثل أسرة واحدة أفرادها من أرحام مختلفة!

وفي ساعة الصفر قبل الخروج. كتبنا وصايانا -والدموع تسحُّ- لمن خلفنا. وزّعنا الملابس والمقتنيات وبقينا الليلة مستيقظين حامدين شاكرين. تدب في أجسادنا الروح وتضطرب النفوس والأعصاب؛ فلطالما انتظرنا الحقيقة وحينما جاءت ظننا أنها ضرب من الخيال!

قبل الخروج أخذونا إلى ضباط إدارة الأمن ليتأكدوا من أسمائنا وليوقع كل أسير على

الملف «ملف الأمانات والملف الطبي الخاص به» بعدما فحصوا الحمض النووي «DNA» لكل أسير، وقد تأكدوا من معلوماتنا من خلال سبعة ضباط كان يجلس كل منهم على طاولة منفردة وبنفس السؤال!

ونحن في تلك اللحظات أتوا لنا بورقة للتوقيع عليها مضمونها «نبذ العنف ضد الاحتلال»، كان أخطر بند فيها أنه «إذا تم اعتقالك يحق للمحكمة إعادة الحكم لك»، إلا أنها أُلغيت بعد إصرار الأسرى بعدم الخروج إلا بتمزيقها، ووقعنا ورقة أخرى مضمونها أننا موافقون على ما تم الاتفاق عليه في القاهرة.

وفي نهاية المطاف وصلنا إلى المحطة الأخيرة، وهي «ضابط الشاباك» ليضع لمساته الأخيرة على ملف الخروج، وحينما وصلت إليه قال لي إن في اسمك خطأً، فبدلاً من كتابة اسمي فرسان كتبوا في التقارير «فرحان». قال يبدوا أنهم أخطؤوا معك!

رددت على ذلك الضابط الأرعن لاستفزازه بالقول: «أنتم اليهود دائمًا تخطئون». من هنا احتدّ النقاش بيني وبينه ودخلنا في سجال طويل، فقال لاستفزازي: «لقد اعتقلنا أخاك بعد عرسه مباشرة وله ٢٠ يومًا في السجن». فرددت عليه: «عادي، لا مشكلة لديّ في ذلك»، ورفضت مجادلته مع أنني كنت في تلك اللحظة في موضع عزة وقوة إلا أن الظرف لا يحتمل، فأعصابنا كانت متعبة للغاية.

قال الضابط مجددًا: «نحن نقول عنكم باليهودية أنكم أبناء حرام». لحظتها استفزني فغضبت بشدة وقلت: «ابن الحرام الذي يسرق أرضي». رد: «من تقصد؟» قلت: «أي إنسان يسرق أرضي إن كان يهوديًّا أو فلسطينيًّا». حينها استشاط غضبًا وقال: «أنت غير محترم». فأجبته على الفور: «أنا محترم ومؤدب لكن أسئلتك غير محترمة». فرد بالقول: «يبدو أنك لم تتعلم من السجن!». قلت: «بالعكس، لقد تعلمت كثيرًا من السجن، وها أنا سأعود إلى غزة».

سألني مجددًا: «كم قضيت في السجن؟» أجبت: «تسع سنوات». قال: «إن شاء الله المرة الجاية أكثر». قلت: «إن كان هناك مرة جاية». رد: «إن لقّيت ودرت في غزة رح نضربك صاروخ». رددت: «شهادة بتمناها كل إنسان». فقال: «إن شاء الله ما بتموت، إن شاء الله بتنقطع رجلك وإيدك وبتضلك عايش».

في النهاية أردت أن أُنهي حديثي معه بشيء إضافي من الاستفزاز، فنحن أصبحنا متمرسين في قهر ضباطهم، فقلت له ساخرًا: «أنا أريد أن أقول لك جملة». فقال: «تكلم يا فرسان». فقلت: «خلفي الأسير جاسر البرغوثي، إذا تذكرون فهذا قتل سبعة عشر جنديًّا،

وحلفتم يومها أنه لن يرى النور، وأنه سيعود لأهله بكيس أسود، ها هو خلفي، ماذا يفعل؟ ها هو يعود إليك لتوقع أنت بنفسك له على الخروج. أنتم لا تفُون بما تقولون. أنتم بلهاء وبائعون للكلام».

حينها سكت الضابط وأصابه الإعياء ولم يستطع الكلام، فما كان منه إلا التوقيع على أوراق خروج باقي الأسرى المحررين.

# يوم تبعثرت الفلذات!

**قاهرة السعدي**

بقلم: فيحاء شلش

هائمة فوق أثير الأيام المتلاحقة لا أدري بأي قوقعة للعذاب أعيش. ضعيفة الروح والأنفاس كنت بين طرقات الحاضر المسلوب والماضي الأجمل دوماً. هناك في زنازين المسكوبية بجسدي النحيل أقاوم جيشا من المحققين، ولوصفهم أعتقد أنني سأظلم الحجارة فربما هي تلين يوماً!

كرسي صغير وجدران مشوهة هي كل ما في الزنزانة التي تكبر حجمي بمرات قليلة، أما ضيق الأنفاس الذي اجتاحني فلم يكن مرضاً ولا إعياء بقدر ما هو توق لتضاريس الحياة خارج قبري هذا. أعلنتُ التحدي كثيراً وأرغمت نفسي ألا أريهم دمعتي. كل فكري كان مشلول التسارع، كان ينصبّ فقط على أربعة أرواح انتُزعت من جسدي وتركتها خلفي.

إن نجح ذهني في مغادرة الغرفة الظلماء كان يطير إلى وجه «ساندي» البريء وطفولة «محمد» ويعانق ملامح «رأفت» ويمسح على شعر «دنيا». هم بكل ما يحملونه من أسماء وشخصيات وصفات لا يتزحزحون عن عرش سويداء القلب وفلذات النفس الجريحة. أربعة أطفال لي تمحور كوني حولهم وأنساني علامات التعذيب المرسومة على جسدي تكاد تشكل نجمة سداسية.

خلال التحقيق المرير معي لثلاثة أشهر كانت صورهم في ذاكرتي تصبّرني على العلقم، فكلما تيبست أطرافي على كرسي الشبح تخيلت نفسي أطهو طعامهم المفضل في منزلنا الدافئ، وكلما حُرمتُ من النوم لساعات وجدتها فرصة لاستحضار كل مواقف حياتهم الملتصقة بتفاصيل حياتي. وحتى عندما كان المحققون يرمونني أرضا ويدوسون على جسدي بأحذيتهم ويحفرون في خلايا الجلد علاماتٍ تسطر عنصريتهم كنت أرحل بالدعاء والصراخ إلى حيثُ أتمنى أن أكون. بين أطفالي الأربعة.

سنة كاملة مرت عليّ دون أن ألمح طيف أي منهم، قادتني التساؤلات للجنون أين هم ومع من يمكثون؟ وزاد من قلقي اعتقالي مع زوجي وأشقائه في اليوم نفسه دون أن أحظى بدقيقة اطمئنان على مصير أطفالي. كنت شخصا آخر غير قاهرة، بل لم يعد اسم الفاعل

قاهرة السعدي مع ابنيها.

يأخذ مكانه في نفسي حين أصبحت اسم المفعول، نعم مقهورة ومحزونة ومكلومة أريد رؤية أطفالي ولو من بعيد.

في يوم ما وبعد مرور العام على اعتقالي أُبلغتُ بنبأ كاد يطير بي إلى أعالي السماء مخترقا الأشباك التي تشوهها، أبلغتُ أن أطفالي سيحضرون للزيارة. شيء ما بداخلي قبض على عضلة قلبي فظننت أنه شوق اللقاء، ولكن حين حلت الزيارة علمت ما هو. وجهان بريئان تملأهما علامات الاستفهام أطلا من وراء نافذة الزجاج المتسخة والشبك الحديدي الملاصق لها، شرعتُ أمسح الزجاج بكمّي علّي أراهما فلم أتعرف إليهما بعد. ذُهلت وصُعقتُ وفتحت فاهي حين تلمست ملامحهما وربطتها بالماضي الجميل. هما محمد ورأفت طفلاي وكم تغيراً، كبرا كثيرا وكانا في غاية الحزن والبؤس إلى درجة البكاء المتواصل. طلبت منهما الهدوء وأرغمت دموعي على الاحتباس. «أنا هنا لا تقلقا، أنا بخير». ولم تزدهما كلماتي إلا عبراتٍ وصراخ. يا إلهي ماذا حدث لهما ولماذا يبدوان بهذا المشهد وكأنهما لا يعيشان في منزل؟!

خلال دقائق الزيارة القصيرة علمت منهما وبعد جهدٍ أنهما ومنذ اعتقالي يعيشان في ملجأ للأيتام! وأنهما لا يعرفان أين شقيقتيهما ساندي ودنيا اللتين وضعتا في ملجأ مماثل. كاد النبأ يقتلني ويفتت كل أعصابي. فطيلة فترة الاعتقال وأنا أظن أن أربعتهم في منزل أحد الأقارب، لم أستطع كبت الدموع وقتها وجهشت بالبكاء أمامهما، أهي عائلتي الحميمة الدافئة تُمزق هكذا؟ أهي الأيام تنقلب علينا بتهمة حب الوطن؟ حين أدركت أن الزيارة ستنتهي بعد قليل مسحت بيدي وجنتاي واستعنت بالمناديل كي أخفف آثار البكاء الحارق. بدأت أتمتم بجمل تهدئ من روعهما وتطمئنهما بأن الأيام القادمة ستحمل لهم خيراً أكبر. تبسما لي ودخلت ابتسامتهما إلى وسط قلبي وكأنهما أنعشاه بمجرد ذلك. استفقنا من اللحظة الجميلة تلك على صوت الضباط وهم يعلنون انتهاء الزيارة فشرعت أرشقهما بعبارات ترفع معنوياتهما وتطمئنهما على حالي وإن كان كالعلقم. ودّعتهما وكأنني أغادر جزءا من جسدي ولوحت لهما بينما عيناي تتعلقان في عيونهما وتحاول اللحاق بهما إلى أبعد نقطة ممكنة.

انتهت الزيارة وانتهى حالي معها كالذبيحة، أعادوني إلى الزنزانة وأنا جسد بلا روح،

دخلت الغرفة وأنا بحال أسوأ مما كنت عليه قبل الزيارة. حاولت الوصول إلى سريري فبادرتني أخواتي الأسيرات بعشرات الأسئلة حول أطفالي. نظرت إليهن واحدة تلو الأخرى وفجأة سقطتُ أرضا وغادرت إلى عالم اللا وعي تحفني أصوات الطفلين وهما يبكيان. بقيت أردد أسماءهم وزفرات الأنين تهب من صدري وتشكو إلى الله ظلم من ظلمنا.

# حقائق وأرقام عن الأسر

منذ مطلع شهر مارس عام ٢٠١٤ تم إحصاء ٥,٢٢٤ أسير فلسطيني داخل السجون الإسرائيلية وتضمنوا:

- ١٨٣ معتقل إداري
- ٢١٠ طفل
- ١١ عضواً في المجلس التشريعي
- ٢١ نساء
- ٤٧٦ أسير محكوم مدى الحياة
- ٤٣٩ أسير محكوم بالسجن بأكثر من ٢٠ عاماً
- ٣٠ أسرى تم اعتقالهم قبل توقيع اتفاقية أوسلو
- ١٥٩ أسير من القدس
- ٢٣٥ أسير من أراضي الـ٤٨

«المسكوبيه» المجمع الروسي، القدس.

# قلبي معلق ما بين السجن و الكعبة المشرفة

**مازن فقهاء**

بقلم: مها شهوان

أذكر ذاك اليوم الذي حبست فيه أنفاسي وضاق صدري على غير العادة حتى سارعت وتضرعت لربي أن يكون يومي خيرا لكن ما هي إلا لحظات جاءني النبأ الذي جعلني أنهار رغم تماسكي طيلة الست سنوات بين جدران السجن الذي شققه صبري وأملي بالحرية.

آه لو أخبرك يا أخي احمد كيف تلقيت خبر دخولك المستشفى وجاءني ذالك الصوت الذي ينعم بالحرية من خارج قفصي يقول لي «أدعو له بالرحمة ربما ساعات ويفارق الحياة فهو في حالة موت سريري» كلمات جعلتني أتوقف عن التفكير العن مرض الثلاسيما الذي أصابك آلاف المرات.

طاردت الشيطان في زنزانتي حينما وسوس لي في محاولة منه لأردد «ليتك لم تلح على والدي للذهاب إلى العمرة»، كم شعرت بالعجز وتمنيت لو عجنت قضبان السجن وطويت المسافات لأصل حيث ترقد في مستشفى السعودية لأتحسس وجهك و اقبل جبينك لآخر مرة.

تلك الليلة أخافتني كثيرا خشيت النوم وحاربته كي لا يكون خبر وفاتك كابوسا يطاردني في منامي، تجتاحني غصة كلما تذكرت هذا الحدث فأنا الذي أخذت عهدا على نفسي آلا ابكي خلال تواجدي بالسجن لكن مرضك أضعفني و أبكاني وزلزل كياني رغم تخفيف إخواني الأسرى عني ودعائهم لك.

أتعلم يا أحمد أني حينما كنت أسمع رنين هاتفي المحمول الذي أخفيته عن إدارة السجن قلبي يتوقف متأهلا لسماع نبأ وفاتك فتختلط مشاعري.

عشت يا أخي على ذكرى واحدة مدتني بالأمل عندما كنت يا صغيري بعمر السادسة حملتك إلى المستشفى لتغيير دمك وقتها دخلت في غيبوبة و أنت بين يدي وبعدها عدت إلى الحياة وقتها عاد إلى الأمل ليأتيني خبر سلامتك.

أتذكر تلك الأيام كيف قضيتها فقد كنت استغل نوم إخواني الأسرى واسترجع الأيام التي عشتها معك حينما كنت اصطحبك إلى المنطقة الريفية لتقود دراجتك الهوائية، وفي اللحظة ذاتها تذكرت وجع والدتي عليك فهي بعيدة عنك في طوباس فنحن ندرك ألامها عند غيابنا عنها.

آه لتلك الليالي التي أوجعتني وباتت تطاردني الهواجس فيها والذكريات المؤلمة لاسيما عندما تذكرت شقيقي معاذ الذي يصغرني بأعوام قليلة توفي بذات المرض وقتها أصبحت أتخبط و ألوم نفسي كثيرا فقد رفضت إصلاح دراجته الهوائية قبل وفاته بيوم لانشغالي بالجامعة وقتها خشيت أن لا ألبي رغبتك يا أحمد حينما وعدتك فور خروجي من السجن بشراء سيارة لك.

استغفرت وصليت كثيرا وطلبت من ربي أن يشفيك وما هي إلا أيام معدودة جاءني خبر تماثلك للشفاء حتى انفرجت أساريري وعاد الأمل إلي من جديد.

وأخيرا بعد شفاءك غدوت شابا وشاء لي القدر أن يفرج عني لأتنسم الحرية بصحبتك قررت تعويضك عن كل الأيام التي فقدتني فيها وسأقص عليك الحكايا التي عشتها بالسجن وستبقى صديقي المقرب يا أخي.

مازن فقهاء يلقي خطابا عن الأسرى.

# القمعات

**محمد الديراوي**
بقلم: هيثم غراب

كخلية نحل كانت الزنازين حين كان ما كان، زنازين يقبع في داخل كل واحدة اثنين أو ثلاثة من البشر، غادروا الدنيا، يعيشون في دنيا ليست كالدنيا، مساحة لا تزيد عن أربعة أمتار مربعة، تحتوي على مرحاض وصنبور للماء، عدا عن كونها مكانًا للعيش والنوم وملعبًا لممارسة بعض الرياضة. روائح كريهة تنبعث من مكان يصعب الاقتراب منه، فكيف بمن لازمه طوال أيام وشهور لا يفارقه؟!

الحشرات الخارجة من مكان قضاء الحاجة فقط هي التي كانت تومض لنا أنه لا زالت هناك حياة خلف الأسوار، أما السجانون فهم أموات بلباس أحياء؛ فوجوههم العابسة لا توحي بشيء من الحياة على الإطلاق.

كان الوقت يقترب كثيرًا من النداء لصلاة الفجر، كالعادة الكل مستيقظ يجهز نفسه لأداء صلاة الفجر، التي كانت بمثابة طاقة كبيرة تعبر بنا جدران الزنازين وأسلاكه الشائكة نحو عالم رحيب واسع مليء بحب الله ورجاء رحماته وعفوه، ومنه أن يفرج الله الكرب ويمحو عنا سنوات العذاب بين أيدي الصهاينة.

السكون يملأ المكان غير همهمات التسبيح وترتيل القرآن وقرع نعال من بقى من السجانين يقظًا يتنقل من مكان لآخر، وفجأة سمعت ومن معي أصواتًا عالية، لم أعرف ماهيتها كوني لا زلت حديث عهد في سجون الاحتلال فقال لي من كان معي هذه أصوات مجموعات من الجنود عادة ما تقوم بحملات قمع وتفتيش للأسرى.

لا أنكر أنني حينها كنت في موقف المترقب الوجل مما قد يكون؛ فالقادم لم أجربه بعد، كيف يفعلون ذلك؟ ماذا يعني أننا سنتعرض لـ(قمعة)؟ ولماذا في هذا الوقت المتأخر؟ أسئلة كثيرة تداخلت في صدري الذي بدأت دقاته ترتفع رويدًا رويدًا لكني لم أعطَ الوقت لأتلقى أي إجابة عبر الوصف ممن عايشوها من قبل بل كتب لي القدر أن أعايشها في تلك الليلة واقعًا ملموسًا.

اقتربت الأصوات، وقرع النعال يوحي أن عشرات من الجنود قد دخلوا الممر الذي

بين الزنازين، بدؤوا يفتحون أبواب الزنازين وبصوت مرتفع وصراخ مدوٍّ، بدأت المواجهة العنيفة غير المتكافئة بين الجنود المدججين بأعتى أدوات القمع وأقساها على أجساد الأسرى المنهكة الضعيفة بفعل قلة النوم وضيق المكان وبرودة الجدران وتعفّن الأرضيات.

وصل ما لا يقل عن خمسة جنود إلى زنزانتي، فتحوا الباب الحديدي الذي لطالما حجب عني وعن رفيقي نسيم الحياة، وبصوت عالٍ صرخ أحدهم في وجهي يطالبنا بالخروج من الزنزانة التي قلبوها رأسًا على عقب وكأنهم يبحثون عن إبرة وسط كومة من القش.

سألونا عن هواتف نقالة نملكها ونستخدمها داخل الزنازين، أنكرنا وجودها تمامًا فاستشاطوا غضبًا وأخرجونا جميعًا في ذلك الوقت المبكر حيث لا زال الجو باردًا، وقاموا بتفتيشنا جميعًا عدة مرات تفتيشًا عاريًا مستفزًا.

قد يرى البعض منكم أن التفتيش عملية سهلة، وشيء يسير، لكنها عملية إذلال مهينة، وقصة من المعاناة وإهانة الكرامة ليس لها حدود.

نخزتني كرامتي بعد التفتيش مرة تلو مرة نخزات موجعة ومؤلمة. حينها صرخت بكل قوة مهددًا ضباط السجن والمخابرات الذين يشرفون على عملية القمع والتفتيش بالطعن عقابًا لهم على هذا العمل المهين.

أعادونا إلى الزنازين وأعادوا إغلاق الأبواب الحديدية قبل شروق الشمس، وعادوا هم يجرّون أذيال الخيبة حيث لم يستطيعوا يومها أن يجدوا أي هاتف جوال في كافة الزنازين رغم حالة الإرهاب التي مارسوها.

محمد الديراوي مع طفله «عماد الدين» البالغ من العمر خمسة أيام.

مارسنا بعدها حالة من الغضب على السجن وضباطه، حاولوا مرارًا وتكرارًا إرضاءنا ومصالحتنا فقمنا بصدهم مرات عديدة، غير أننا رضينا بذلك بعد أن انتزعنا منهم بعض التسهيلات والمطالب التي كنا بحاجة ماسة إليها.

# الحلم كان زورقاً يحملني صوب حبيب الروح!

**والدة مروان الزرد**

بقلم: سماح المزين

ها هي تجاعيدُ الوجه التي خبأ التاريخ فيها قصصاً مكتظة بجام الألم، تظهر كشقوق في مبنى عظيم، وتتفتح بين وقت وآخر تنزف شوقاً وتنفث وجعَ افتقادٍ وحسرةَ أمومةٍ محرومةٍ وآمالٍ لم تكتمل، أنظر لوجهي في المرآةِ فأرى كل هذا ومن خلفي (مروان) يحتضنني بكلتا يديه بشدة ويربتُ على كتفي ولا ينتظر أن أجهز نفسي. بل يسحبني من يدي بدلالٍ ويأخذني إلى قصر أفراح جميل جداً، مكتوب على بواباته: في هذه الليلة المباركة يزورنا العزيز الشامخ مروان الزرد ويعقد قرانه على الحرية في حفل بهيج يقام على شواطئ بحر الفرح والفخر. لا أصدقُ نفسي ولا أغلبُ دمعةً عجزتُ وأنا أغالبها. أتحسس أكتاف الرجل الواقف بجواري، صدره، ملامح وجهه وألمس يديه فأجده هو مروان «بشحمه ولحمه» أقرأ في عينيه عشرين سنة مضين وهو عني بعيد. لكنني لا أبكي.

ليس غريباً أن يراودني هذا المشهد في الحلم، فقد اقترب جداً؛ الوقت المقرر أن أعيشه فيه واقعاً وحقيقة، وأفرح بزفاف الحرية إلى ولدي ومثولها بين يديه أخيراً، وهو عزيز شامخٌ كالأسد، رغم أن بعض التفاصيل تختلف قليلاً، فيوم طار القلب إليه ولم يعنّي على الصبر ولم تمنحني ولو لحظة دلالٍ رغم أنني أم العريس الحرّ. فداؤك قلب أمكَ أيها الأسدُ الهصور، فداؤك النفس والنفيس يا ولدي. ربما عجزتْ يدُ التاريخِ أن توصلَ لي صورة الحبيبِ القابضِ على جمر الصبر خلف قضبان القهر، لكنها كانت أضعف بكثيرٍ من إرادة المولى التي سمحت لي برؤيته دوما في الحلم كأنني أقضي كل الليل معه.

عندما بلغ مروان (أو إبراهيم كما يناديه الجميع) السابعة عشر من عمره، فرحت برجولته المبكرة، بأنفاسه الجهادية الواثقة، بطريقته في الكلام، وفي التعامل، وحتى في الكره والحب، بدأت أرى ابني الغالي يكبر أمامي شيئاً فشيئاً. حين أراه حاملاً سلاحه أذكر طفولته وصباه وأتخيله رجلاً يملأ الأعين جلالاً وهيبة، لكن فجأة ينقطع الفيلم الممتع

وتدخل أحداث أكثر دموية من مذابح الحروب العالمية، يدخل القفر والقهر بيتي وأنا التي لم تتخيل يوماً أن تحرقها نار البعد ومرارته، يدخل أحفاد القردةِ بيتي ويسرقون منه حبيب الروح ومهجة القلب، وأبقى أشتعل على جمر الفراق والأوجاع، لا يمنحونني رخصة العبور إليه ولا يريحون الروح من ولهٍ يكاد يقضي عليها.

حينما يتعرض مجاهد للأسر في سنٍ صغيرة، يحترق قلب الأم عليه أكثر بكثيرٍ مما لو كان كبيراً، فهو يحتاج أمه وأهله. لكن مروان كان يطمئنني، يعلم أنني أحتاجه كما يحتاجني تماماً؛ يزورني كل ليلة في الحلم فأحادثه: بنيّ الغالي. يا قطعة من القلب أبخيرٍ أنت؟ يرد: أمي الحبيبة كوني بخير أنا أستظل بفروع قلبك. فمدي من الفروع حناناً وحنيناً يدفئ ليلاتي الباردة يا أطهر قلبٍ يمر على البسيطة. تبرد ناري: ياه. ألهذا الحد يا ولدي. ويختم كل الليلات السعيدة: بل أكثر يا روح ولدك. في حفظ الله أمنتك وعنايته ترعاكِ. سلام عليكِ يا أماه في الصابرات!

مروان كان برعماً على مشارف التفتح الكامل حين اعتقله بنو صهيون وأسروه لديهم، أخشى ما أخشاه أن يمسوه بسوء، وقد عرفت ابني أسداً بثياب صبيّ، لم أخف عليه منهم رغم كل غدرهم فالله تعالى خيرٌ حافظاً، لكنني كنت أتمنى لو أن ابني يكبر بين يديّ وأمامي أرى ملامحه، وأتفحص رجولته الرائعة، عظام صدره تفرد نفسها لتخبرني أنه أصبح رجلاً، كتفاه يزدادان عرضاً، لحيته وشاربه يشقان دربهما في الوجه المنير، يداه، ساقاه، وحتى زنديه وعضلات وجهه المرنة مع ابتسامته، وعروق دمه الفائر تحدثني في جيده الذي ما حناه القيد، وزاد الطين بلة أن بني صهيون لم يسمحوا لي بزيارته معتقلاً. فأخذت ألح على الله بالدعاء ألا يحرمني رؤيته، وبدأت أراه في المنام دوماً، حتى جاء يوم ورأيت صورته وإذ بشكله وملامحه التي تزورني كل ليلة هي إياها، وابني هو إياه، تحسست كل مسامات روحه وقلبه منذ احتضنته يوم عرس الإفراج الكبير والمشرف، فإذ بي أحفظ حتى عدد أنفاسه، وعدد نبضاته، يا الله. كم كان الله مناناً معي!

يوماً زارتني شابة صحافية حين استصدر حاخامات اليهود قانوناً يقضي بحرق السجون الإسرائيلية بمن فيها من المعتقلين الفلسطينيين؛ تسألني الشابة: هل تشعرين أن بني صهيون قد ينفذون مثل هذا الحكم يا أم مصطفى، فأرد ببرد يقين رغم أن قلبي كان يحترق: لا يا بنيتي. سيحفظهم الله. فهم في وداعة الله. وقد تخيلت يوم عاد إليَّ مروانُ أن قلبي لن يحتمل فرحة لقائه وسيبدأ ينزف احتراقاً من جديد، إلا أن برداً صبه الله في قلبي حتى حين عاندني أبنائي ولم يشأ أيهم أن أنزل لساحة الكتيبة حتى أستقبل ابني المحرر، فأصررت على رأييْ ونزلت واستقبلته هناك!

يهل الآن المهنئون، أناس لا أعرفهم وآخرون لم أقابلهم قط، وغيرهم الكثير. أشعر أن المرض يغزو جسدي بشدة، لكن القلب يعيش أجمل أيامه بقرب الحبيب، والروح تغتسل من أنهار قربه وقبلاته الحانية بفرح، أنظر في عيون الناس وأعلق أمنيةً على صدر الأيام، أن يذيق الله برد الفرح ودفئه ويقينه لأهل الأسرى الأحرار الذين لا يزالون يرزحون تحت قهر الاحتلال!

# فدائية رغم أنفهم

**وفاء البس**

بقلم: حنان مطير

كانت أبشعَ لحظةٍ في حياتي. غصةٌ وإحباطٌ لم أشعر به يومًا، فحلمٌ كان يراودني ينتهي -اليوم- بغمضة عين. فبدلاً من أن أنتقل في تلك اللحظة إلى جنات الخلود -بإذن الله- انتقلتُ إلى القفص اليهودي. جاءتني إحدى المجنَّدات لتقول لي بغضب: «جئتِ لقتل الأبرياء والأطفال في إسرائيل أيتها المخربة؟!» رددتُ عليها فورًا: «استشهادية رغم أنفك.» وأمام عينيّ فجروا «ردائي المُلغَّم» ومعه فجَّروا حجابي.

وقتها اجتاحت وسائل الإعلام العبرية بمختلف إذاعاتها وفضائياتها المكان لتصويري. شعرتُ بنفسي صيدًا ثمينًا، وقد كنت كذلك بنظرهم- حقًّا-. فالجندي الذي قبض عليَّ عَلا برُتبةٍ عسكريةٍ رغم أن الحظَّ كان حليفه ولم يكن «بشطارته».

دخلتُ مرحلة التحقيق. وفيها أُوسِعتُ ضربًا من ثلاث سجَّاناتٍ تعمَّدنَ ضربي على حروقي التي لم تكن قد التأمت بعدُ تمامًا بعِصيّهنَ الحديدية الملفوفة بمادة بلاستيكية، كان ضربًا قاتلاً دام ما يقارب الربع ساعة بما تحمل من نزفٍ وألم لا يُحتَمل. خاصة وأني كنتُ مُكبَّلة «على طريقة سجن جوانتانامو» وخلاله كُنَّ يسألنني عن الجماعة التي أرسلتني لتنفيذ العملية فلم أعترف، إذ كان الاعتراف بنظري خيانة. وبسخرية كُنّ يسألنَ: هل أنتِ نادمة؟ فكنت أنفي. وكلما نفيت اشتدّت ضرباتهنَ حتى فقدتُ وعيي، لأستيقظ في كابوسي الحقيقي في زنزانةٍ غير صالحةٍ للحياة الآدمية. وعلى لفافاتٍ توقفُ نزفي وعلى أصابع يديّ «المُكسَّرة». وذلك في عزل «الرَّملة». الأشنع على الإطلاق. وبعد أسبوع واحد خرج الشهيد حسن المدهون بنفسِه ليتبناني عبر وسائل الإعلام.

وفي التَّحقيق، مكثت ثلاثة شهورٍ لم أشتمَّ فيها النور. لم أرَ بشريًّا غير أولئك السَّجانين المُجرمين الذين جعلوا تهديدي بالاغتصاب كابوسًا يلاحقني.

بعد ذلك انتهى التعذيب البدنيّ تقريبًا، لأدخل في تعذيبٍ نفسيٍّ وصحيٍّ آخر. ففجأة كانت درجة حرارة الزنزانة ترتفع كما لو أن أحدًا أشعل مُكيِّفًا حارًّا، ثم تتحوَّل الحرارةُ المرتفعة إلى برودةٍ شديدة. وأحيانًا أخرى كانوا يجعلون الإضاءة قوية ثم خافتة وهكذا. وحين كنتُ

أغمض عينيّ في غفوةٍ أجدُ الماءَ يُضخّ في وجهي. وكم من عشر مرات كانت تُفتَّش الزنزانةُ في اليوم الواحد؛ ففجأة تجد السجانات يدخلنَ بعد أن يُقيِّدنَ يديّ عبر الشباك الصغير للزنزانة. ويُداهِمن المكانَ ويُبعثرنَ أغراضي القليلة للبحث عن شيءٍ لست أدريه!

وفي كلّ موقفٍ كانوا يحاولون إيقاعي وإثبات أني أعاني مرضًا نفسيًّا، الأمر الذي لم يتمكنوا منه أبدًا، ففجأة يأتي طبيب نفسي ليسألني أسئلة كثيرة مثل: «ما أكثر الألوان التي تحبينها؟» هل تحبين منظر الدم؟ هل كان والداكِ يُحبَّانكِ. هل كانا يضربانكِ. إلخ، أسئلةٌ كنت «أستتفهها» لكني لم أجهل مقصدها. وما كان يغيظني جهاز الكذب -الكاذب- فأغلب الأسئلة الغريبة كنت أجيبها بصدق لأتفاجأ بالجهاز يُخبِر «أني كاذبة»! ومن الأسئلة التي كانت تهدف إلى الإيقاع بي وإخراجي منتحرةً لا استشهادية أن جاءني أحد الصحفيين يدَّعي الودّ والحزن ليسألني: «وفاء. أنا حزين جدًّا. فقدتُ حبيبتي؟ وأنا اليوم أفكر في الانتحار. فما رأيك؟» وعلى الفور أجبته: «ديننا يحرم الانتحار لسببٍ تافه كهذا، بينما يحلل الاستشهاد لمن سُلِبت أرضُه وقُتِّل أطفالُه». كان ردًّا غير متوقَّعٍ بالنسبة له.

في شهور التحقيق الثلاثة تلك، لم أستحم. لم أمشِّط شعري. لم أُغيِّر ملابسي. حتى عند قضاء حاجتي كانت السجانات يرفضن، فكم كان الأمر مؤلمًا حقًّا لإنسانيتي.

وبانتهاء تلك الشهور العذابية، تمّ إرسالي إلى سجن الشارون، حيث الأسيرات الفلسطينيات. شعرتُ وقتها بأني أنتقل من نار الدنيا إلى جنَّتها وإن كان كلاهما حارقًا، قشعريرةٌ سرت ببدني حين استقبلتني الأسيراتُ بالهتاف. «وفاء. وفاء. وفاء.»، احتضنَّني كأختٍ جديدة. لتكُن أُولى صديقاتي الأسيرة «آمنة منى» التي علَّمتني الكثير وأعطتني من خبرتها ما يجعلني لا أنسى فضلَها؛ فعلى يديها تعلَّمت العبرية قراءةً وكتابة. وعلى يديها أيضًا فهمت حياة السجن الذي كانت لي فيه المُعلِّمة الأولى.

ومن بين ألوان العقاب التي مورِست بحقِّي كأسيرة أن وضعوني في سجن الجنائيات «الإسرائيليات». كُنَّ سميناتٍ بلا حياءٍ، تتعمَّد الواحدةُ فيهن الخروج بهيئة أقرب للتَّعري بقصد إيذاء مشاعري. لو احتاجت إحداهن سيجارة تجدها تحاول الانتحار بجرح وريدِها. وما أكثر ما كُنَّ يسهرن حتى الفجر يرقصن على أغاني «الديسكو» الصاخبة، والقنوات الإباحية التي يشيب لقذارتِها القلبُ. كنتُ أغمض عينيّ لأُريحهما دون أن أغفو أبدًا. فإن فعلتُ فقد يغدُرنَ بي ويقتلنني في أي لحظة. وقد حصل أن سمعتُ اثنتين منهنَّ يتَّفقن على قتلي بكابل التلفاز، ولولا أن قمتُ بشراسةٍ واعتديتُ على الأولى فارتدعت الأخرى لأصبحت وقتها في عِدادِ الأموات. ولأجل ذلك تمَّ نقلي لعزل انفراديٍّ آخر.

في سجن الجنائيات حصلت على قلم رصاصٍ قصيرٍ جدًّا خفيةً. كان بالنسبة لي غنيمةً كبيرةً خاصةً في وجود الورقة البيضاء التي تُغطَّى على طبق الطعام. كنت أرسم على تلك الأوراق، وأخبئها. إلى أن اكتشفت إحدى السَّجانات صورةً للأسير «جلعاد شاليط» سبق وأن رسمتُها وكتبتُ عليها: «أنتَ لن ترى النور قبل أسرانا البواسل». وبتلك الصورة والكلمات جنّ جنون إدارة السجن، وكان أمرُ ضربي وإعادتي لعزل الرملة حيث غلَّلوا يداي وقدماي في السرير «على طريقة الشَّبْح» وقاموا بضربي شرّ ضربٍ وإهانة.

الغريب أن قطةً لستُ أدري من أين جاءتني دخلت لزنزانتي فكانت أنيسةً لوحدتي. كنت أخبئها إن دخلت إحدى السجانات المكان، حتى أنجَبَتْ مجموعة من القطط الصغار، كم كانت فرحتي عارمة، لكنها لم تدُم للأسف؛ فحين علموا بأن تلك القطط تضفي على نفسي أجواءً من البهجة، قامت السَّجانات بجرف القطط الصغيرة أمام عينيّ وقتلها بإلقائها في سلة القمامة. لم أتمالك نفسي، فرُحتُ أبكي بحرقة.

وليس أصعب من أن تقعدَ الفتاةُ فلا تجد أخصَّ الخصوصيات لنفسِها إلا أن يأتيها أحد «العملاء» يدَّعي أنه شيخٌ! ففجأة وأنا أقبع في عزلي الانفرادي إذ بصوت رجلٍ يرتل القرآن الكريم ظننته موجودًا في نفس زنزانتي لعلو صوته، لكن جدارًا وحيدًا كان يفصل بيننا، وحين انتهى من القراءة ناداني. وفاء، كيف حالك؟ وبمجرَّد أن نطق اسمي شككتُ في أن يكون «عميلاً» من أولئك الذين يُطلق عليهم «عصافير». وحين قال لي: «سامحهم الله من جنَّدوكِ. إنهم يستحيل أن يجندوا أخواتهم.» وقتها قَطعتُ ظني باليقين، وتأكدت أنه عميل. فلم أنبس ببنت شفَّة حتى كادت حنجرته تتقطَّع لكثرة ما ناداني دون أن أردّ، لتكون تلك إحدى وسائل الإسقاط التي نجوتُ منها، إلى جانب الإغراءات حول علاج حروقي علاجًا تامًّا على أن أتعاون معهم. لكن مُحال، فأنا ابنة فلسطين، جئت استشهادية ووعدتُ روحي أن أخرج مناضلة. فلتخسأ أيها السَّجَّان.

وفاء البس مع عائلتها.

# في السجن ذكرى الصَّبر وقشوره

**نائل البرغوثي**

بقلم: معاذ العامودي

ثلاثة وثلاثون عامًا كانت كافية لأن أحفظ كل «الخرابيش» على حائطك، اختلطت ذكرياتي مع حاضري ومستقبلي، شمخت فيها عيوني بين عالم ساكنٍ وسط عوالم متحركة في الخارج، لا ينفك فيه صراعٌ يدور كما تدور طواحين المياه، لتدفع الحياة لأرض محيطة قاحلة، فتجعلها خضراء نضرة، صراعٌ بيني وبين السجان، سجانٌ يحاول منع كل شيء عني وعن إخوتي الأسرى، حتى الأكسجين، كنّا نقاتل الحرمان بالصبر، نعصره نخرج منه زيتًا يضيء عتمة الزنزانة، كنّا نشتهي كل مفقود، فلا شيء موجود سوى قليل من المعلبات اللعينة من «السردين، واللحمة، والفول، وغيرها...» وكثيرًا ما كانت تمنع عنّا.

كانت مفاجأة حين سمحت «مصلحة السجون» للمرة الأولى منذ اعتقالي قبل ٢٧ عامًا بدخول فاكهة «الصبر» للمرة الأولى بأغلى الأثمان، قام بعض الأسرى بتوزيع الفاكهة علينا، وما زاد من الفاكهة أعطوه كمكافأة وعرفان لكبار الأسرى وعمدائهم وكنت أنا من بينهم.

حين أعطاني من يوزع الفاكهة، رأى تجاعيد السجن المحفورة على وجهي، كما تحفر المياه في الصم الصَّيَاخِيدْ، ترسم صبرًا في كل خلية من خلايا جسمي. أمسكت «الصَبْرَ» بِشَوكه، نظرت إليه وقلت: يا سلام... صَبْرْ، سبعة وعشرون عامًا لم أرَ فيها فاكهة الصَّبْرْ، مع أني أشرب من كأس الصبر والصمود كل يوم، بكل بطءٍ مَسَحْتُ الشَّوْكَ بِيَدَيْ، نظر إلي الأسرى في القسم، وقالوا: ماذا تفعل يا أبو النور؟ فنظرت إليهم متبسمًا وقلت: ليسجل التاريخ أننا أكلنا الصَّبْرَ وقُشُوره... وماذا بعد أيها الأحرار، ألم يأتِ موعد الحرية؟

## كنافة بالملح

«سيد القوم خادمهم». يا لها من مقولة رائعة، لم تكن مجازفة أو كلمة عابرة، بل لها صداها هنا داخل السجن، بين أربعة جدرانٍ، وقضبان، ومئات السجَّانين، كان أنشط هؤلاء أخي وحبيبي يحيى السنوار «أبو إبراهيم»، وكنّا نقاتل الفراغ بالقرآن والسياسة والمناقشات

والمحاضرات، والمأكولات بما أتيح لنا من إمكانيات. وفي يوم من الأيام أراد أبو إبراهيم أن يصنع لنا كنافة نابلسية، خصوصًا أن السجن عندنا فيه عشرات الأسرى من مدينة نابلس، قام أبو إبراهيم بجمع «لب الخبز» المتوفر لدينا، وطبخه بقليل من السمنة المعلبة الموجودة «المنجرينا»، مضيفًا إليها قليلاً من الجبنة المعلبة البيضاء.

أنا لا آكل الحلويات، والسكريات، أحضر أبو إبراهيم قطعة لنا، فرفضت وأصرَّ أخي أبو إبراهيم على أن أتذوقها، ورفضت، قلت له: يا أبو إبراهيم أنا لا آكل الحلويات، وإن كان لا بد فاعمل لي كنافة بالملح. نظر أبو إبراهيم إليّ قائلا: كنـــافة بالملح يا أبو النور؟ قلت له: ماذا بقي في السجن يا أبو إبراهيم، ضاع الأكل والشرب، مع ضياع لذة الحرية، أعدَّ لي أبو إبراهيم كنافة بالملح فأكلتها وقلت في نفسي: كم أكرهك أيها السجن.

## الحاجَّة فَرْحَة

حين تبزغ الشمس من الشرق أو الغرب. لا أعرف؛ فالمكان هنا ساكن، وسط زنزانة مظلمة باردة، لعينة، أقاتلها وأقاتل وجهها العابس كل مساءٍ قبل الخلود لذكريات أمي الرائعة، فتوقظني برودة زنزانتي صباحًا مع الشمس، لتغيظ جبلاً أشمَّ، فتسألني ما أخبار أمك الحاجة «فرحة» يا نائل؟ أجيبها والدمع على شطر عيني يجري: أيتها الزنزانة هلا تعرفت على حمامة زاجلة من فوقك، تخبرني عن أخبار أمي المريضة، أمسك قضبان الزنزانة بين يدي. أمي هل يطيل الله في عمري لأراك ثانية بعد أعوام من الانقطاع؟

يذوب جسدي بين جدران السجن الأربعة، ويذوب جسد أمي بين أنياب المرض والبعد، كساعة رملية، فأنا داخل السجن وأمي خارجه، والاحتلال حاجز بيني وبينها.

ظللت أرسم اسمك أمي في عقلي، أتخيل ابتسامتك كما الموناليزا في متحف اللوفر الفرنسي، حين رأيتها على آخر صفحة في إحدى الصحف العبرية التي تمر على سجني، أغني لك صباح مساء بصوت متقطع».

أمي سيدة ريفيه تعشق نور الشمس، تصنع خبزًا، ترسم حلمًا، تزرع فينا القدس، بيتٌ أعمدةٌ أركانٌ نارٌ وضياع، ثوبٌ أغنيةٌ أبناءٌ عطشى وجياع».

من شباك الزنزانة رأيت طيور الشنار المهاجرة فحادثتها ما بال أمي؟ هل تشققت على جدران الزمان، وبوابة الانتظار؟ هل ترى يا شنار في عيني غيرها؟ غادر الشنار ولم يحمل في رجليه شيئًا من الرسائل قط، فما في الزنزانة قلم ولا ورقة لأكتب له، ولا أعرف منطق الطير فأتمتم له، شعرت وقتها أن الرياح القادمة من الغرب حملت شوقي إليها بدفء، لتنقله نحو مدينة رام الله، من نافذة غرفتها وهي على سجّادة الصلاة ترفع يديها إلى الله، تدعوه

أن تراني قبل الممات، وتقول: «ربي استودعتك إياه».

كانت أمي شاعرة قرية كوبر، قوية صامدة، من الشخصيات النسائية المشهورة التي قادت حملات الإضراب ومسيرات التضامن معنا -نحن الأسرى- في سجون الاحتلال الصهيوني.

رأيتها تسير ببطء نحوي، على كرسيها المتحرك، قادمة من إسعاف حملها إلي، والقلب ينبض بقوة، دوار شديد في رأسي، كيف سمح الاحتلال لها أن تراني قبل الموت؟ لم تمكث إلا دقائق في لغة الشوق والحنين الطويل، يا لروعة هذه الإنسان العظيمة القادمة باتجاهي وأنا مكبل اليدين. بعدها في ٢٠٠٥ ماتت أمي، نعم ماتت، كانت آخر كلماتها «سلموا على نائل، ديروا بالكم عليه، نفسي أشوفك قبل ما أموت يمَّا».

كان لي صديق حميم وعزيز على قلبي أطلق سراحه معي في صفقة «وفاء الأحرار»؛ طه الشخشير «أبو الياسين» أعرف أمه جيدًا، رائحة طبيخها يتدفق في أنفي يحرك مشاعري، حنانها نحوي، فأنا ابن لها، أتذكر زياراتها وحكاياتها، كما يعرف طه أمي «فَرْحَة» بنفس الحجم.

عشرون عامًا مكث طه في السجون، قليلاً ما كنا نلتقي، تمر علينا السنوات دون لقاء، مرت الأيام، ملَلْنَا من تعدادها، التقيت معه في سجن واحد، احتضنته وسألته باللهجة النابلسية فهو من نابلس: «إيش أخبار الحجة يا أبو الياسين؟» تَنَهَّد طويلاً وتكلم قليلاً فقال: «الحجة ماتت يا أبو النور؟»، صعقت وقتها. لم أعرف بموتها، يا الله رحمك الله يا أم طه... لحظات من الصمت والترقب والأسف سادت المكان، مع نسائم الاعتذار أحاول ألقيها لقلب أخي، نعم لقد ماتت أم طه عام ٢٠٠٣.

لم ألتق طه إلا بعد سنوات فسألني: إيش أخبار الحاجَّة «فَرْحَة» يا أبو النور؟ فقلت له والدمع في عيني: «فَرْحَة» عند ربها مع أمك يا أبو الياسين.

وبعد سنين طوال، تعدت حدود الزمن، تحدَّت لعنة التاريخ، وغضب الجغرافيا، وقسوة المحتل، انتزِع حق الأسرى بالخروج، حقٌ تعدّى «الفورة» والبِنْطَال، وساعة الرياضة، والزيارة، والتعذيب، والتحقيق، والنسيان، تعدَّى مفاهيم السجان، صدق الله وعده وخرجنا أنا وطه، أمضيت ٣٣ عامًا، وطه ٢١ عامًا في سجون الاحتلال، بعدها ذهبت للقاء أمي أنا وطه سلمت على قبرها وعلى من لم يحالفني الحظ بلقائهم.

نائل البرغوثي صاحب أطول مدة اعتقال في السجون الإسرائيلية، سجن في سن الـ ٢١ اثر مشاركته في عملية عسكرية أسفرت عن مقتل جندي إسرائيلي. وبقي نائل في السجن لمدة ٣٣ سنة حتى أصبح يعرف بلقب «عميد الأسرى» ومع ذلك يفضل أن يدعى باسم أبو النور.

بعد شهر من الإفراج عنه وفي سن الـ ٥٤ تزوج حبيبة الطفولة «إيمان نافع» والتي تبلغ من العمر ٤٧ عاماً.

# ولن أوفيكما ذرّة

**عبد الله أبو شلبك**
بقلم: فيحاء شلش

تشابك خلجات النفس دومًا في ذاك المكان الضيق فتحوله إلى ساحة واسعة من المعاني الرقيقة، وبالنسبة لي لم يكن عناء القيد وأطروحته العقيمة يساوي جزءًا صغيرًا واحدًا من عالم الذكرى المحتضر.

ورغم أن السمات المزروعة بداخلي والتي غذتها روح التحدي خلال سنوات السجن الطويلة كانت تذهب باتجاه الصبر والصمت والكبت، إلا أن مواقف عدة أرغمتني على إطلاق العبرات في نفسي؛ فأنا في النهاية إنسان سُلبت حريته حين شعر أن تراب الوطن يُكبّل بأعتى السلاسل. كنتُ في أحداث معينة أهرب من عالم القسوة وألجأ إلى الدموع علها تغسل الحزن الذي أعمل في القلب مرارًا.

في سجن الجنيد -يوم أن كان بإدارة المحتل- وبعد قرابة العامين على أسري شدّني انسياب النور المنبعث بخجل بين فتحات صغيرة مما تسمى «نافذة» على النهوض لسرقة مشاهد من الخارج، هو ذاته الذي حلمنا أن تخترق ذرّاته أجسادنا المقيدة فتذيب الأصفاد وتعلن حرية من نوع آخر. كنت ألمح بوابة السجن بينما نور الشمس يغذي عيناي، شجرة شدتني خضرتها ورسمت في نفسي ألوانًا من الحياة، حافلة تشق طريقها إلى مدخل السجن فيما يبدو إعلانًا لزيارة مرتقبة، ومنها تنبعث عشرات الأرواح المكلومة تسبقها قلوب ملأتها الطعنات المسمومة.

وبينما تتراءى لي الصور وتحمل أشكالا من تخبط المشاعر جذبني من بين جموع الزائرين المنتظرين أمام البوابة منظر سيدة خمسينية ترتدي ثوبًا أبيض وترفع «شالها» التراثي فوق رأسها وتضع يدها المرهقة على خصرها ريثما يسمح الجنود بدخول أهالي الأسرى، لم أستطع رؤية وجهها أو التعرف إليها لبعد المسافة وضيق ثقوب النور في النافذة. وبعد انتظار مرير نادى الجندي على الزوّار للدخول إلى مبنى السجن وأنا أراقب تلك السيدة تشدني إليها فطرة غريبة، وبلمح البصر دفعها الناس أرضًا وهم يسارعون الخطوات للدخول إلى المبنى، حاولت رفع نفسها عدة مرات إلا أن الأرجل كانت تدوس ثوبها الناصع

فتحوله إلى سواد في مشهد سلب مني العقل والتفكير، فشرعت أصرخ دون شعور ولا أحد يسمعني من زنزانتي. نهضت السيدة وأجزم أن الدموع كانت سلاحها الوحيد فنفضت ثوبها ورفعت شالها مرة أخرى ودخلت بخطوات صغيرة بطيئة يحفها العجز إلى داخل السجن، هزت كياني من داخلي وأخذت معها قلبي يدعو لها.

وبينما أنا شارد الذهن عند النافذة ذاتها جاء السجان يبلغني أن لي موعدًا مع الزيارة، ارتسمت ابتسامة على وجهي فقد جاء أحد من أهلي ليراني، قيدني وكبّل أطرافي واقتادني إلى غرفة الزيارة وجلست في مقعدي حتى جاءت سيدة خمسينية وجلست أمامي، لم تكن سوى أمي الحنون الصابرة. انتفضت لرؤيتها كل الأحاسيس التي حبستها في روحي وتداعت أنفاسي حين لمحت ثوبها الأبيض الملطخ بالسواد وشالها غير المرتب، ارتسمت علامات استفهام سرعان ما تبددت في ذهني بعد أن ربطتها بالمشهد القاسي الذي لمحته. سقطت بضع عبرات عنوةً من مقلتيّ وتمنيت لو أدفع عمري فداءً لها.

تلك الأبعاد الإنسانية لم أكن أشعر بها كثيرًا وسط قصة التحدي التي خضتها مع السجان، ولكن كلما تعلق الأمر بواحد من والديّ كانت المضخة التي تحميها ضلوعي تنبض بغزارة وتعلن الاستسلام للدموع. ففي يوم آخر بعد مرور عشرة أعوام على اعتقالي زارني والدي بعد معاناة مع طلبات التصريح الاستثنائي والتنسيق، فرحتُ لرؤيته وبدأت أتكلم بسرور معه وأحاول جعل هذه الدقائق من أغلى ما مر عليّ، ولكنه كان يقابلني بصمتٍ حزين وكلمات مقتضبة، وفجأة قال لي: «أنا مسافر للحج بعد فترة قصيرة إن شاء الله، ولكنني لن أعود فالله سيتوفاني هناك». رغم ما حفرت في نفسي كلماته إلا أنني تصنعتُ الابتسامة وبدأت أنفي ما قاله وأغير قناعته الغريبة هذه، ولم تغير محاولاتي شيئًا من أقواله بل شرع يقرأ وصاياه عليّ. انتهت الزيارة وأنا مشتت التفكير أحاول محو كلماته عن الموت واستحضار الأمل من بين خيوط الوهم.

مر أكثر من شهر على تلك الزيارة. استيقظتُ على صوت جلبة خارج الغرفة ولمحت أخي وصديقي المقرب ياسر يدخل من الباب فسألته إن كانت هناك مشاكل مع الإدارة، ردّ بالنفي وأشاح بوجهه وجلس على سريره متضايقًا، اقتربت منه وسألته: «هل حدث شيء مع أهلك؟». فردّ: «بل مع أهلك أنت»، ابتلعتُ ريقي وصعدت الدماء إلى وجهي وتغير لوني وأردفت: «والدتي؟». فقال: «بل والدك وهو يؤدي فريضة الحج. عظّم الله أجرك».

# إبتسامة

**عبير عمرو**
بقلم: هيثم غراب

أسيرة أنا، نزعت من بين أحضان أسرتي الدافئة، وحرمت حنان أمي، ومنعتني جدران السجون من سماع دعائها الذي يفيض حبًّا وحنانًا وأملاً بمستقبل أفضل مع كل شروق شمس وطلوع قمر، أضحيت أسيرة لا تملك سوى الإرادة في مواجهة صلف السجان.

كثيرًا ما استمعت إلى حكايا تروي أمجادًا عن نخوة المسلمين والعرب في استخلاص الأسيرات من بين براثن المعتدين، وكثيرًا ما صرخت في زنزانتي بصرخة مكتومة «وامعتصماه»، غير أنها لم تلقَ أي ردود على مدار ست سنوات كانت مضت على اعتقالي.

ست سنوات مرت ما رأيت فيها الشمس إلا مقطعة عبر شبكة من الأسلاك التي تحاصر سماءنا وتعتقل أنفاسنا في ذات المعتقل، وتمنعها من الوصول لتختلط بأنفاس حرة خارج أسوار وأسلاك السجن.

كنا قرابة الستين أسيرة في سجن الشارون، يخرج نصفنا ثلاث ساعات للفورة في ساحة ضيقة أسوارها عالية، تعلوها أسلاك شائكة ويكسو سقفها شبكة كثيفة من الأسلاك الشائكة تحاصر أشعة الشمس وتقطعها إربًا قبل أن تصل لأجسادنا التي أكلتها رطوبة الغرف والزنازين، ونخرت عظامنا الضعيفة.

كانت في ذلك الوقت قد اشتعلت الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦م، وبدأت أخبار انتصار المقاومة وإيجاعها للمحتل الصهيوني تصل إلى مسامعنا كما كانت تصل إلى السجانين وضباط السجن.

فكانت الابتسامة مرسومة على وجوه الأسيرات جميعًا؛ فرحًا بهذه الأخبار التي تتسرب إلينا قليلة كأشعة الشمس الواصلة إلينا تمدنا بطاقة الحرية وإكسير الحياة، في مقابل الوجع والقهر والغيظ الذي انعكس على تصرفات السجانين وضباط السجن.

كنت في الفورة وقتها، حين استكثر علينا السجانون أن نبتسم، فثارت ثائرتهم وبدؤوا بكيل الاتهامات لنا بتشجيع المقاومة اللبنانية على ضرب الكيان، وخلال وقت قصير وصلت قوة ردع كبيرة اقتربت من ساحة الفورة التي كنا نتواجد فيها وكان معنا حينها الأسيرة منال

غانم وطفلها الذي أنجبته داخل السجن (نور).

رفضت الأسيرات مغادرة ساحة الفورة لشعورهن بالظلم، خصوصًا أنهن لم يرتكبن ما يدعو لعقابهن وإلغاء حقهن في الفورة، توترت الساحة أكثر وتم حشد مزيد من قوات (الماتسادا)، حينها حاولنا التفاوض معهم على سحب القوات التي حضرت، على أن يتم بعدها انسحاب الأسيرات من الساحة بكل هدوء، منعًا لحدوث أي اشتباك.

رفض الضباط كل محاولة لفض النزاع وتمرير الأمر بسلام، تيقّنا بعدها أن المواجهة حتمية، وأن القرار بقمع الأسيرات قد اتخذ ولا رجعة عنه، وقرر الأسيرات حينها المواجهة والصمود ولنا في ذلك طرقنا الخاصة.

كان الضباط وفي كل اعتداء يحاولون رفع الغطاء عن رؤوس الأسيرات، لذلك كان تثبيت غطاء الرأس وعدم قدرة الجنود الصهاينة على انتزاعه عن رؤوسنا انتصارًا على تغوّل القوة الصهيونية على فتيات ضعيفات لا حول لهن ولا قوة.

بدأت قوة القمع برش المياه على الأسيرات إضافة إلى رش الغاز، وبدؤوا بضرب الفتيات بالهراوات والاعتداء بالألفاظ والأيدي والأرجل عليهم.

كان بيننا الطفل نور وكان عمره حينها سنة ونصفًا، تعرض لكل ما تعرضت له الأسيرات من رش بالمياه والغازات المسيلة للدموع، والدفع والضرب، وكم كان المنظر دمويًّا؛ الأسيرات تسيل منهن الدماء، وكلهن تقريبًا تعرضن لضرب مبرح آذى أجسادهن.

(بدنا نربيهم حتى ما يرفعوا روسهم مرة ثانية) هذه العبارة التي سمعناها مرارًا وتكرارًا من الجنود والضباط الذين مارسوا كل إبداعات الحقارة والقسوة في الاعتداء على ضعيفات لا يملكن من أمرهن شيئًا في مقابل أدوات القمع التي دجّجت أجساد المقتحمين الذين استمروا في قمعهم للأسيرات من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الرابعة مساءً.

لم يكتفِ ضباط السجن بما جرى، اقتادوني والأسيرات إلى أقسام أخرى غير أقسامنا التي كنا فيها؛ كانت عبارة عن زنازين ضيقة وتناوب الضباط والسجانون على وضعنا في غرف تعرضنا خلالها للضرب والتعذيب والتعنيف اللفظي والسب والشتائم.

تعرضتُ كغيري لجولات من الضرب والتعذيب استمرت اثنتي عشرة ساعة، كانت جحيمًا لا يطاق، ومجزرة حقيقية بحق الأسيرات اللاتي بدأ بعضهن ينزف دمًا وانهرن بشكل كامل، حينها بدأنا نستنجد ونصرخ على السجانين ليقوموا بإنقاذهن ونقلهن للإسعاف غير أنهم قالوا لنا كلمة واحدة (موتوا).

معاناتي لم تنتهِ عند هذا الحد؛ فكثيرة هي المواقف التي اقتربت فيها من الموت وما

أحياني سوى ينبوع الإرادة الصلبة الذي يتفجر مع كل شدة أتعرض إليها، نقلت من سجني وتعرضت للعزل، وكدت أفقد حياتي بسبب تناقص وزني من ٨٠ كيلو إلى ٣٢ كيلو جرامًا خلال وقت قصير جدًّا ما عرضني لمشاكل صحية كادت تودي بحياتي؛ إنه السجن وما أكثر الجروح فيه.

ميدان تلفغر في العاصمة البريطانية لندن- ٨ مارس ٢٠١٤ "في يوم المرأة العالمي، نساء فلسطينيات ينظمن مسيرة تضامناً مع الأسرى في السجون الإسرائيلية تخللها رفع لافتات دعم ومساندة للأسيرة الفلسطينية لينا الجربوني التي تقضي حكماً بالسجن لمدة ١٧ عاماً قضت منها ١٣ عاماً. وتعاني الأسيرة الجربوني من التهابات حادة في قدميها وسبق أن خضعت لعمليات جراحية بسبب الإهمال الطبي الشديد من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية."

تظاهرات نظمتها حملة دعم الأسرى الفلسطينيين (www.inminds.com). لمزيد من المعلومات تصفح الموقع الإلكتروني للحملة www.inminds.com/caged.

# ألم بأمل

**أكرم الريخاوي**

بقلم: هيثم غراب

جدران أربع تطل على وجهي خلال الأربع والعشرين ساعة، كأنها وكيلة علي. أسير بينها، ألملم بقايا ذاكرة أعيش عليها، كعطشان يحلم بالماء، لا أصعب من أن تكون أسيراً عند عدوك، ولا أصعب من أن تكون مريضاً بمرض مزمن وأسيراً في آن واحد، تحيطك الجدران من الخارج ويحيط صدرك الألم من الداخل.

نفس ضيق. آه لقد ذبحني الربو المزمن، أحس أن السجن حولي وفي صدري. من هؤلاء الأطباء. ما أقبح عيادة سجن الرملة. أحتاج للدواء. آه يا بشر، يا عالم، صدري يتفتت من الألم. ذبحني الربو.

منذ اعتقالي عام ٢٠٠٤ أشعر بضيق شديد في التنفس. أشعر بأعراض أخرى. لم أعد أرى كالسابق، أعتقد أن نظري بات ضعيفاً. أشعر بألم في عظامي، هشاشة كبيرة. لا أقوى على القيام. رأسي دائم الصداع. هل من المعقول أن يعطيني الأطباء الصهاينة هنا في هذا السجن دواء غير مناسب للربو؟! وما الذي يمنعهم من ذلك؟! فلا رقيب ولا حسيب هنا داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي. عند لقائي بالطبيب طلبت منه إجراء فحوصات لي، وبعد ذلك قال لي النتائج سليمة. لم أصدِّق قمت بإجراء فحوصات بالخارج، أظهرت النتائج وجود ضغط عندي ومرض السكري، وهشاشة في العظام. ثم تبين أن الاحتلال يعطيني دواء «الكورتيزون» المسكن على مدار سنوات طويلة بدلاً من دواء «الكيناكورت» وهو علاج الربو. تسع سنوات مضت وأنا أأخذ الكورتيزون باستمرار. دواء خطير. لا رقيب هنا في المقابر المظلمة هذه، أحياء يعيشون بصمت ويتحركون بصمت.

برهة من التفكير في هذا السجن المحاط بالوحوش التي تلبس الأبيض. هم ملائكة هكذا يعرف العالم كله. لكنهم هنا وحوش، لا يبالون. إحساسهم متلبدٌ وضميرهم متحجِّر. هدفهم التلذذ في تعذيب الأسرى المرضى.

فتشت في أنحاء جسدي، في جدران غرفتي، في باب السجن عن أي حل فما وجدت بين صدري المتهشِّم سوى ألم آخر أصارعهم به. قررت الإضراب عن الطعام، والامتناع عن الدواء.

-أكرم هذا القرار صعب- أقول في عقلي، هل سأنجح؟! سؤال آخر. هل سيخضع السجَّان؟!

بدأت الإضراب عن الطعام. تمر الأيام، الجسد يضعف، والمرض يزداد. لا طعام. لا مقويات. سوى الماء. نظرت لوجهي في المرآة. نحيف جداً، العيون سابلة. خسرت من وزني ١٩ كيلو. وزني لا يتجاوز التسع وأربعين كيلو فقط. فجأة دخل على غرفتي في مستشفى السجن ضابط على جانبه ضابط أخر ومعهم جنود بعد مرور أكثر من خمسين يوماً على إضرابي، قال لي: ستموت هنا. لا أحد سينفعك. انظر لجسدك، ولمرضك. ماذا تريد؟! قلت لهم: أريد داء الربو «الكيناكورت». ضحك الضابط وقهقه، وقال: ولماذا لا تريد أخذ الكورتيزون، ثم خرج، يجب أن أركز مطالبي الآن على توفير الدواء المناسب للربو، سأستمر بالإضراب، لن أتنازل.

تمر الأيام والمفاوضات جارية معي على أن أفك إضرابي، لكني الآن سأصمم على الإفراج بالكامل، يكفي معاناة وألم، إما أن تموت أو تعيش بكرامة، سأستمر بالإضراب، يبدو أن عيني اليسرى لا أرى فيها مطلقاً، هل هذا من تأثير العملية الجراحية التي أجراها لي الاحتلال هنا بعدما أزالوا الماء الأبيض؟!

بصيص أمل قادم في الأفق. انه طبيب منظمة حقوق الإنسان الدولية، يقوم بالفحوصات الشاملة لي. تقريره يقول: بأن صحتي سيئة للغاية ويجب توفير كافة الأدوية لي. في قرارة نفسي أعلم أنه لا يستطيع عمل شيء، فالاحتلال لا يعترف ولا يعطي أي أهمية للمؤسسات الدولية، وإن كان يعطي لها أهمية لما حصل ما يحصل من تعذيب ومعاناة هنا. الحل؟

يجب أن أبقى مضرباً عن الطعام لأنال حريتي بنفسي حيث تمر الأيام سريعة، اليوم ١٠٤ في الإضراب. لم أعد أقوى على الحركة، ولا على الكلام، ولا على الرؤية، وما هذه الانتفاخات الكبيرة في جسدي؟! يداي أقدامي؟! الحل هو الإفراج عني أو الموت!! جولات المفاوضات معي لن تزحزحني عن نيل حريتي. وبعد ١٠٤ يوم قرر السَّجَّان أن يخضع لشروطي. الحرية، واليوم أنا حر. نعم أنا في غزة حر. ولكن الآلام لا تزال تحاصرني، ضغط وسكري وربو وضعف في النظر كل ذلك بسبب الكورتيزون ولا اللامبالاة من قبل العالم بنا!

# شاهد على الموت

**أكرم سلامة**

بقلم: هيثم غراب

لست على بينة إن كان من تعاملت معهم في ذلك المكان ينتمون إلى البشر، أم إلى جنس آخر لا يعرفه منا أحد، لا ليسوا من بني الحيوان؛ فحتى الحيوانات لديها من الرحمة والشفقة ما يفوق ما عندهم آلاف المرات.

أقصد سجن الرملة أو «مستشفى» الرملة، كنت مندوبًا عن أسرى حماس هناك، أستقبل الحالات المرضية التي تأتينا من السجون المختلفة، مرّت بي حالات كثيرة، مأساة كنت أحياها على مدار الساعة وأنا أتنقل بين هذا الأخ والآخر، وكلهم تنهشهم الأمراض والجراحات وسط حالة من الإهمال والقسوة والتعذيب لا تحدها حدود.

فالمشرفون الصهاينة هناك سواء كانوا دكاترة أو ممرضين كأنهم نزعوا صدورهم واستبدلوها بشيء أقسى من الصخور الصلدة الصماء، ليس لهم من أسماء وظائفهم أي نصيب؛ فهم جزارون بكل ما للكلمة من معنى.

تتزاحم في عقلي الذكريات والحالات التي مرت عليّ في هذا المكان، غير أن ذلك الشيخ الكبير الشهيد محمد حسن أبو رضوان صاحب الخمسة والستين عامًا، والذي قضى منها سبعة وعشرين عامًا داخل السجون الصهيونية، لا زالت صورته الواهنة تحتل جزءًا كبيرًا من ذاكرتي التي أرهقت بفعل كثرة الحوادث الأليمة المخزنة داخلها.

كنا معًا في الغرفة (٢٠٥) في سجن مستشفى الرملة، كان الرجل مريضًا جدًّا وغير قادر على التنفس، قضينا سويًّا ليالي طويلة وأنينه يخترق القلوب، ويعذبنا بقدر أكبر من عذابه الذي يعيشه.

استمر في عدم النوم لأيام طالت لأكثر من عشرين يومًا متواصلة، وكنت في كل يوم أخرجه إلى طبيب العيادة، فيخبرني أنه سليم وليس عنده أية مشاكل.

هذه الكلمات التي قد تمر عليها سريعًا كانت بمثابة معاناة تستمر على مدار الليل والنهار ثانية ثانية ودقيقة دقيقة وساعة بساعة؛ آلام وتنهدات وإرهاق وعدم نوم.

وبعد عشرين يومًا من عدم النوم والإرهاق المتواصل، والألم المبرح وصعوبة التنفس، تم

صورة للأسير الفلسطيني الشهيد عرفات جرادات الذي قضى داخل زنازين الاحتلال الإسرائيلي بعد ستة أيامٍ من اعتقاله.

نقله إلى مستشفى متخصص، هناك قاموا بأخذ عينات منه ليكتشفوا النتيجة التي صعقت الجميع، أن الأخ مصاب بسرطان في الرئتين، والمرض في حالة متقدمة.

هذا لم يغير شيئًا على الأسير أو على طريقة تعاملهم معه، أعادوه إلى الغرفة عندي، لتستمر المعاناة ذاتها التي لم تتوقف منذ وقت طويل.

ازدادت حالة الأخ محمد سوءًا، وبدأ يفقد وعيه نتيجة عدم القدرة على النوم، وأصبح لون جسده أصفر وأضحى لا يعرف أحدًا ويهذي.

هذا الأمر اضطرني لطلب مقابلة أحد المسئولين عن السجن أنا والأخ المريض، وهناك حدث الموقف الذي لن أنساه ولن أعلق عليه، جلست والأخ محمد قبالتي في مقابلة نائب مدير السجن، وقد كان الأخ محمد مرهقًا جدًّا، وعلى قدر كبير من الوهن والضعف وعدم التركيز.

جلسنا وتحدثت مع هذا المسئول عن إمكانية السماح لذوي محمد بزيارته والجلوس معه بسبب حالته المرضية الصعبة وكنت في نقاش طويل معه، وأثناء حديثي مع نائب مدير السجن وبحركة غير مقصودة ونتيجة عدم التركيز تحركت يد الأسير محمد نحو هاتف نقال» بليفون» موجود على الطاولة أمام نائب مدير السجن، فاستشاط غضبًا وأمر سجانًا كان قريبًا بالقيام بتربيط الأخ محمد وتقييد يديه إلى الخلف.

كان موقفًا صعبًا للغاية، إنهم لا يملكون قلوبًا، لا يحسون بأي نوع من الإحساس، لكنهم هم كذلك، لا يرقبون في الأسرى حتى وإن كانوا على حافة الموت أيّ عاطفة، قلوب من حديد موصدة بكل اختصار.

لم يكتفِ هذا الصهيوني بتقييد الأسير المريض، بل قام بتوجيه سيل من السباب والشتائم للأسير محمد متهمًا إياه بالتمثيل والكذب، وقام بعدها برفض طلبات الزيارة ومنعه من رؤية أهله.

هذا الموقف أبكى قلبي ولا زالت آلام النفس تعاودني، رغم مرور(١٠) أعوام على هذا الحادث الأليم الذي انتهى بوفاة هذا الأسير المسن في منتصف الليل بعد أن قضى ما يقرب من نصف عمره في سجون الظلم والقهر الصهيونية.

فلسطين، غزة، ١٥ أبريل ٢٠١٢، متظاهرون من ذوي الأسرى الفلسطينيين ينظمون وقفة أسبوعية أمام مكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومسيرة أمام مكتب منسق الأمم المتحدة الخاص بعملية السلام في الشرق الأوسط بمدينة غزة انتهت بمؤتمر أمام فندق الكومودور بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني الذي يوافق الـ١٧ من أبريل من كل عام."

فلسطين، غزة، ١٧ فبراير ٢٠١٤، المئات ينظمون اعتصاماً أسبوعياً أمام المقر الرئيس للجنة الدولية للصليب الأحمر، وهو اعتصام أسبوعي ينظم منذ العام ١٩٩٥ تضامناً مع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

زيارة عائلية

# حقائق وأرقام عن الأسر

تقع كافة السجون التي يقبع فيها الأسرى الفلسطينيون داخل إسرائيل إلا واحد، في انتهاك صريح منها للمادة ٧٦ من اتفاقية جنيف الرابعة، التي تنص على وجوب التزام «دولة الاحتلال» باحتجاز سكان الأراضي المحتلة في سجون داخل الأراضي المحتلة.

بالإضافة إلى عدم شرعية ذلك في القانون الدولي، فالنتيجة العملية لهذا الخرق هي أن العديد من السجناء يجدون صعوبة في الاجتماع مع محامي دفاع فلسطيني، ولا يتلقون زيارات عائلية بسبب حرمان محاميهم وأقاربهم من الحصول على تصاريح لدخول إسرائيل لأسباب أمنية مزعومة.

سجن الدامون، شمال إسرائيل.

سجن عوفر و المحكمة العسكرية بالضفة الغربية.

# حجر نرد ومقامرة

**أيمن الشراونة**

بقلم: هيثم غراب

إنها لعبة خطيرة، مقامرة بالحياة، أو إصرار عليها، والأسرار تعرف في النهايات، فمن صمد حتى النهاية نال حريته، لعبة الإضراب داخل السجون، الإضراب عن الطعام والشراب حتى الموت أو الإفراج.

لكن الاحتلال لا يعترف بالقوانين ولا الاتفاقيات الدولية لضمان حقوقنا داخل المعتقلات، ويخشى أن نموت في السجون فيما يتعارض مع قوانينه هو بأن يبقى الأسير حياً ولو على كرسي متحرك مشلولاً.

ثلاثة شهور من الحرية تنسَّمت عبقها بعد الإفراج عني في صفقة شاليط، لم تكن كافية حتى لمعرفة الوجوه الجديدة والأجيال الحديثة من حولي، ولا مواكبة التطور الحاصل في مدينتي الخليل وبالتحديد «دورا»، جنود مدججين بالسلاح يقتحمون المنزل ويأخذوني للمعتقل مرة أخرى مع أنني لم أقم بأي نشاط ضد اتفاقية الإفراج، ١٠ سنوات في المعتقل، أخشى أن تتبعها عشر أخرى بدون أي تهمة، تنقلات بين السجون حيث تم اقتيادي لمركز توقيف عصيون، وبعدها بأيام قليلة إلى سجن عوفر، ثم إلى سجن ريمون.

ما علمته من المحامي أن محكمة الاحتلال تريد أن تعيد محاكمتي من جديد، فقد حكم علي سابقاً بثمانية وثلاثين عاماً، قضيت منها عشراً داخل السجن، وخرجت في صفقة شاليط، ولم أخرق أي من شروط الصفقة، القضية إذلال وإجحاف دون أي مبرر، قررت المحكمة أن يستأنف الحكم ضدي لأمضي ما تبقى من الثمانية والثلاثين عاماً داخل السجن، ثمانيه و عشرون عاماً سأبقى هنا، الحل؟! القرار؟!

إضراب عن الطعام هو ما أملك، لكنها لعبة حياة أو موت، قد أموت في أي لحظة، أو أعاني الأمراض بعد فك الإضراب لا أُشفَى منها حتى الموت، عزمت على الإضراب. إضراب فردي، تمر الأيام سريعة، مائة يوم متواصلة، من قال أن الجوع كافر؟! إن الجوع أشد كفراً من كفار قريش، ولكن المشكلة لم تكن في الجوع وحده، بل أيضاً في المعركة المستمرة بيني وبين السجان، لم يتركوا وسيلة إلا واستخدموها لمحاولة إخضاعي وإقناعي لكسر إضرابي.

كرسي متحرك، وضعني عليه الأطباء، وقاموا بتقييد أطرافي الأربعة في السرير-الأطباء يلعبون لعبة الشاباك في هذه المهمة- تتحرك السيارة من السجن، تصل مستشفى سجن الرملة، في بداية الأمر تصورت نفسي كأني داخل على مسلخ للحوم، لا رقابة ولا شيء. أمامهم مريض أسير مقيد الأطراف لم يذق الطعام منذ مائتي يوم، دخلت غرفة المستشفى. ياه ما هذه الرائحة التي تنبعث من المكان؟! طعام شهي، حلويات مختلفة، لحوم مشوية، قهوة زكية الرائحة، -هيا يا أيمن تقدم وكل ما شئت، لم تذق الطعام منذ مائتي يوم-، نفسي تخاطبني، إرادة الحياة تخاطبني من جديد، صراع بينها وبين الكرامة، الجسد غير قادر على حسم معركة الكرامة، والعقل يلملم بقايا وعيه يقاتل به الجوع، رفضت الأكل، ورفضت مفاوضات السجانين المستمرة.

بعد صراع طويل مع الإضراب قرر الاحتلال الإفراج عني وإبعادي لغزة، لكن لا يؤتمن جانب الاحتلال! لن أفك إضرابي فتجربة سامر البرق لا زالت أمام عيني، فقد فك إضرابه، ثم تراجع الاحتلال عن وعده، لن أفك إضرابي إلا في غزة، وافق الاحتلال على الإفراج مقابل فك الإضراب، ورفضت أنا، تم إبعادي لغزة، ولم أفك إضرابي إلا هناك، نعم فالاحتلال لا يُؤْمَنْ جانبه!

نساء ينظمن مسيرة تضامنية مع الأسرى الفلسطينيين في يوم الأسير الفلسطيني في ميدان تلفغر في العاصمة البريطانية لندن

تظاهرات نظمتها حملة دعم الأسرى الفلسطينيين (www.inminds.com). لمزيد من المعلومات تصفح الموقع الإلكتروني للحملة www.inminds.com/caged.

# أستنشق الذكرى

**بسام النتشة**
بقلم: فيحاء شلش

حالة من الغربة تسللت إلى نبضي وشقت طريقها في أنفاسي لا أدري كيف أصفها، فهناك بين جدران العزل أو الزنازين تُفتح الدروب أمام الضيق ليأخذ مكانه في روحي.

ربما كان حَفرُ الجراح في نفسي يتشكل حين أستذكرهم، حين تلوح صورهم أمام عيني فأتمنى لو أرحل إلى عالمهم، حين كنت أستلقي على سريري في ظلمةٍ لا أعرف نهاية لها وأمسك صورهم؛ أشتمّها وأنكبّ عليها بالعبرات تبلل جزءًا منها، ذاك أصغرهم كنت أداعبه قبل اعتقالي وهو لم يكمل شهرًا واحدًا من ربيع عمره الذي ابتدأ بتغييب الأب، وتلك سجود أضحت فتاة وأنا لا أواكب شيئًا من حياتها المفعمة بأملٍ وألم.

كم نثرت الأحلام فوق ملامح خمستهم، وكم داعبتني التخيلات بأنني لم أفارقهم، فاثنا عشر عامًا في قاموس الحياة. حياة!، أستهل صباحي بتلمّس الحنين من صورهم وأنهي ليلي الطويل بطول النظر في ابتساماتهم، ترى هل اعتادوا الحياة دوني وهل أصبحتُ رقمًا يظلله الحكم المؤبد؟ لطالما دقت التساؤلات رأسي فلا أجد لها جوابًا ولا رادعًا إلا الدعاء لخالقي بأن يفك قيدي.

وبينما أنا أسير الذكرى والأمنيات كنت أجلس بعد صلاة المغرب أسبّح خالقي وأطيل الدعاء، وفجأة حدثت جلبة في القسم جعلتنا نهرع إلى بعضنا ونتساءل ما أسباب الضجة في القسم المجاور. وقتها علمنا أن خمس سنوات ونصفًا من العضّ على الأصابع والانتظار الجنوني شارفت على الانتهاء، وأن حياة الكثيرين ستخرج إلى عالم الأحياء الحقيقي، ساعات أحسسناها كالدهر في انتظار الأخبار المؤكدة حتى أيقنّا أن صفقة التبادل حانت وأخيرًا. كبّرنا وهللنا وعانقت البسمات ملامحنا وكأننا ولدنا من جديد. وهي أيام قليلة مرت كالأعوام حتى تسربت الأسماء إلينا ويا لها من لحظات. أسير يطير فرحًا وآخر تدمع عيناه وثالث يعانق أخاه. كنا كالغرباء الذين على وشك أن يحتضنوا أساس الذكريات دون صور قديمة ولا رسائل مهترئة.

ذاك التاريخ الذي غيّر حياتي بدأ بفجرٍ ثقيلٍ كدت لا أقوى على تحمله، فصور اللقاء كانت تملأ كل ما حملته النفس طيلة ١٢ عامًا. نُقلنا إلى الحافلات في آخر «بوسطة» لنا ونحن نملأنا سعادة بطعم آخر بعد وداع أغرقته الدموع لمن بقي في السجون. وصلنا إلى عوفر وكم تنفسنا الصعداء حين بدأنا نشتمّ رائحة رام الله وزعترها ونلمح جبالها من بعيد، تتسلل أنظارنا بين النوافذ الحديدية الضيقة.

وقتها دقّت ساعةٌ لا أحمل كلمات لوصفها، مشيت بضع خطواتٍ بعد أن نُزعت عني الأصفاد، توقفتُ قليلا ثم شرعتُ أستقبل حياة أخرى لا تدور تفاصيلها في غرفة ضيقة ولا سرير حديديًّا قاسيًا ولا عددًا ولا تنقلات. لم أصدق أن حرية عانقت جسدي ونورًا أضاء خلاياه. بقيت أتساءل وكأنني في حلم جميل طيلة الطريق إلى الخليل، وكلما اقتربنا زاد النبض تسارعًا وتشنجت الأعصاب قلقًا وترقبًا.

بعض المعالم أراها تغيرت، بضع أشجار ازداد عددها وأنوار كثيرة أضيفت إلى قلب المدينة. ولكنني لم أقوَ على التركيز فيها فأنظاري وروحي تتجه نحو خمسة وجوه أتوق لرؤيتها. حُملت على الأكتاف بين الهتافات والزغاريد بينما أبحث عنهم مع خشيتي أن أضيع ملامحهم. فتركتُ للقلوب عناء البحث علها تسرّع في اللقاء. وفجأة اندفعَت كالسهم إلى صدري فتاة أصبحت بطولي والدموع تملأ وجنتيها وعينيها الحمراوين. لم أحتج أن أنظر في وجهها فالقلب دلني أنها طفلتي سجود، فتحت ذراعيّ لها وسمحت للعبرات أن تعلن فرحتي بدلاً من أي كلمات. كم طال انتظاري لمثل هذا اللقاء وكم شددتُ قبضتي على ذراعيها وكأنني أخشى الفراق مجددًا!

# أطروحة الداء

**فراس أبو شخيدم**

بقلم: فيحاء شلش

من نافذة صغيرة اتخذت نفسها في حائط إحدى الزنازين كنت أتأمل اللاشيء، أرسم في مخيلتي منظرًا لغيمة صيفٍ عابرة أو أشعة تنسدل وسط السماء بـ»حنيّة»، ولكن ما إن رمش طرفي حتى بانت الصورة أكثر وضوحًا، نافذة صغيرة تكبر كفّ يدي بقليل وتخنق نورَها أسلاكٌ وأشواكٌ حولت السماء إلى لعبة شطرنج!

ليس المرض في عيني هو ما يجعلني أرى الصورة قاتمة؛ فكل شيء في السجن يمسي أسودَ، وخارجه مهما كان يبدو زاهيًا. وبما أنني لا أرى على بعد ثلاثة أمتار من أمامي كان قلبي يحدّثني بمشاهد أشتاق لها؛ كروم العنب المفروشة وأزهار اللوز المنسية والساحل المسروق يتلألأ عن بُعد، كنا نراه من جبال الخليل ونحن صغار ونتحدى من يرى سفينة في الميناء أولاً، ثم ننثر الأمنيات، وأحيانًا نصرخ للسماء «بدنا نرجع».

منذ اعتقلت قبل تسع سنوات وأنا من سيئ إلى أسوأ، وربما لو لم أتقرب أكثر إلى خالقي وأدعوه في جوف الليل مرارًا والعبرات تبلل وجهي لكنت فقدتُ عقلي؛ فالآلام التي غزت عيناي منذ التحقيق الأول تنشر سمومها في محجريهما وتحاول نزع بصري ما استطاعت، وزاد السجان عذابًا فوق عذاب حين منعني من العلاج ولم يكترث لمأساتي حتى وصلت إلى هذا الحال من ضعف شديد في النظر.

في صبيحة يومٍ صيفيٍّ استفقت على وجع غير عادي يجتاح معدتي، ظننت أنها أوجاع يسببها برد الليل أو طعامٌ فاسد، ولكن الدماء التي تناثرت على قميصي أذهبت أي شك بأن الأمر طبيعي. حاولت النهوض من فراشي والدم ما زال ينزف من الصرّة بكثافة مع آلام تكاد تزهق روحي، بقيت أتلوى وإخواني الأسرى يتراكمون فوق مشهدي هذا دون حول ولا قوة، صرخ أحدهم على السجان فتجاهل وشرع آخر يطرق أبواب السجن بحثًا عن منفذ. استمر الأمر لساعات قبل أن يستجيب المحتل لصرخات الأسرى وآهات الألم وهي تنبعث مني. نقلوني إلى عيادة قريبة تفتقر لكل شيء وأعطوني مسكنًا!

تراجع الألم قليلا ولكنه لم يختفِ، وكأنه سجان آخر يتربص بي وينتظر أن أرتاح قليلا

حتى يقتحم لحظاتِ الهدوء، عاد مرة أخرى وبشدة أكبر فلم أقوَ على التحمل وشرعت بالصراخ عند الباب «أنقذوني أنا أموت». بعد ساعات استجاب أحدهم وعقب مداولات مريرة ومفاوضات خاضها إخواني الأسرى مع إدارة السجون سمحت بنقلي إلى مشفى في بئر السبع، هناك تم فحصي وإبلاغي بأن كيسًا تكوّن قرب معدتي جراء سلسلة التهابات وتجب إزالته على الفور.

و»على الفور» هذه لا تعني في قاموس المحتل إلا فرصة للابتزاز والمماطلة المصحوبة بابتسامات صفراء، بقيت أسابيع بعدها أتألم كالحمل الذبيح دون أن تكترث إدارة السجن، وبعد معاناة تبعد عن الموت خطوات تحددت لي عملية جراحية كنت أخشى تداعياتها أكثر من فرحتي بتحديدها. كبلوني جيدًا واقتادوني إلى ما يسمى بالمشفى وما هو بمشفى، بقيت ثلاث ساعات بوضعية واحدة أنتظر دخول الغرفة وأحاول إسكات الألم بالدعاء، تأوهت كل خلايا جسدي للوجع المبرح ذاك فصبّرتها بأنه سيزول عقب العملية وهكذا أقنعت نفسي.

«تأجلت العملية» كانت العبارةَ التي كادت أن تودي بحياتي، كيف أعود إلى زنزانتي ودوامة الألم المرير؟ كيف أعود للقهر ذاته مستسلمًا للأوجاع وملطخًا بدماء فاسدة تبلل قميصي؟ لكنهم أعادوني طبعًا دون اكتراث وكأنني جمادٌ لا يحس ولا يشعر. وبعد أيام تحددت العملية من جديد فعاد الأمل ينير جسدي، لم أكترث حين كبلوني بشدة وقيدوا أطرافي؛ فبعد قليل سينتهي الألم يا معدتي. ابتسمت وسرت مع السجانين نحو المشفى ولا أستطيع وصف هذه الرحلة المريرة فذهني يسبقني إلى ما بعد العملية علّي أتذوق يومًا من الراحة.

«تأجلت العملية» كادت تفقدني صوابي فساعات الانتظار ريثما أدخل إلى الغرفة ساوت لديّ دهرًا كاملاً، عدت أدراجي إلى زنزانتي مكبلا بقهري ومقيدًا بوجعي الذي بدأت أراه لا ينتهي. وبعد أيام تحددت العملية من جديد وهذه المرة وسط «وعودات» بأنها لن تتأجل، كم فرحتُ رغم أنهم ليسوا أهلا للثقة، ولكن الألم بات في نفسي وحشًا كاسرًا يجب أن أهزمه كما سأهزم السجان يومًا. قيدوني مرة ثالثة ومنذ ساعات الفجر أوصلوني إلى المشفى ذاته، تسع ساعات من الانتظار شابهت سنوات اعتقالي كلها في الظلم والحرمان والوجع المتزايد والصبر المرير. أدخلت أخيرًا إلى الغرفة ولم أجد ما يدل على أن عملية جراحية ستجرى فيها، حينها قال من يسمي نفسه الطبيب ببرود ودون حتى أن ينظر إلي: «جاء مريض آخر وسنستبدلك به، أعيدوه إلى سجنه». أقسمت حينها أنني لو متّ من أوجاعي وانتُزعت روحي من جسدي وملأت الدماء غرفة سجني فلن أعود إلى مشفاهم المميت ولن أشكو ألمي إلا لمن خلقني.

# امرأة وحدها

**هناء شلبي**

بقلم: معاذ العاموي

لا زلت أذكر الجو الملبد بالغيوم، والبرد الشديد في السادس عشر من فبراير لعام ٢٠١٢، كان الليل يرخي أسدار العتمة السوداء، هدوء في برقين تلك القرية الجميلة التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة جنين، لا صوت سوى صوت بعض الحشرات الليلية التي تعطيك منبه أن الليل متواصل.

فجأة ضجيج قوي، صوت بساطير الجيش، نباح كلاب بوليسية قوية، عشرات الجنود يلتفون حول الحي الذي أسكن فيه، من المطلوب يا ترى في هذا الليل؟! وفي مساء الخميس الهادئ؟

زيارة قصيرة لا تستغرق الخمس دقائق ثم نغادر- هكذا أبلغنا جنود الاحتلال، ثم نادوا علي بالاسم في هذا البرد القارس، وعلى أختي وأمي وأخي عمر وزوجته. هيَّا اخرجوا! هيَّا. تبقي أبي العجوز وأخي الكبير عمار داخل غرفة من غرف المنزل، والسلاح فوق رؤوسهم. ما هذا الإجرام؟! يفتشون كل شيئ؟! يعيثون في البيت فساداً، لم يبقوا خزانة ولا سريراً ولا فراشاً إلَّا فتشوه ومزقوه، الأطفال يصرخون، لا أستطيع الاقتراب علَّي أحضن أحدهم فأُهدِّء من روعه.

صرخ شلومو ضابط مخابرات الاحتلال الإسرائيلي: هناء يجب أن تموت، اعتقلوا هناء، أنا نعم ينادي علي أنا. لمحت من الناحية الشمالية مجندة صهيونية قادمة نحوي. تقوم بتفتيشي. في هذه اللحظة باغتني جندي من اليمين أمسك يدي، توقف هي؟! لا تلمسني أنا امرأة فلسطينية لا يحق لجندي مثلك أن يلمسني. «طَرَااااخ» صوت صفعة قوية زلزلت وجهي، دوار في رأسي. يا الله ماذا أفعل؟ من أنا ؟! من هؤلاء؟! إنسانه، إنسانية، حقوق، كرامة، سواد، ليل، دخان. ألم، كلمات دارت في خلدي بعد الصفعة القوية التي هزت أركاني، اتركوني قفوا من فوقي، الضرب على رأسي بالبنادق، آه، أه، آه، أمي، أبي، أخي، الجنود يضربوني من كل حدب وصوب، وفي كل مكان في جسدي، جسدي يتخدَّر، ألم في كل مكان؟! عمر، عمر، لا تضربوه، اتركوه، اتركوا أخي، يا الله ما هذا الظلم، الناس في كل العالم

نيام ينعمون بأمن وراحة وسكينة، ونحن هنا نضرب بالبنادق والعصي في منتصف الليل.

صرخ شلومو مرة أخرى: يلا عالجِيبْ ؟! توقفت مكاني لم أتزحزح. لن أتحرك حتى أقوم بتبديل ملابسي البيتية بجلباب وزي شرعي. الشرطي يرفض، الجيش يرفض، يلا اطلعي على الجيب. رفضت مرة ثانية، ضربني الجنود، قلت لهم: لن أتحرك قبل تبديل ملابسي ولي الحق في ذلك وفق كل القوانين، سمحوا لي بدخول البيت ومعي مجندة، وبعدها قمت بأخذ ملابسي في غرفة مجاورة أمام مرأى المجندة. صراخ في الخارج، الجنود يقتحموا غرفتي وأنا أقوم بتغيير ملابسي عارية.

من شدة الألم لم أستطع الصراخ حتى، توجهت لحافلة من نوع هامر، مدججة بالجنود والأسلحة من كل مكان، وصولاً إلى مركز توقيف سالم، بالقرب من مدينة جنين، هكذا قيل لي فلم أرى كنت طوال الوقت جالساً كالقرفصاء، وسط الجنود والسلاح، معصوبة العينين، ظلام دامس، وألم شديد، ولم يتم الحكم علي بل توقيفي معتقلة إدارية بلا تهمة، نعم بلا تهمة، هذه المرة يجب أن أخوض قراراً صعباً.. قرار موت أو حياة، سأضرب عن الطعام، نعم سأضرب حتى نزع حريتي، الأيام تمضي، والجسد يضعف، والعيون تبز للخارج، والعظم يظهر، والمعاناة تزيد يا الله لن أتراجع عن الإضراب. سأواصل، اليوم السابع والأربعين لي في الإضراب، لن أتحول للاعتقال الإدارة مرة سابعة بلا تهمة، يا الله أخيراً نجحت في انتزاع حريتي، نعم التضحية شعار الحرية، الآن سيتم إبعادي إلى غزة بعيداً عن أهلي صحيح، ولكن جزء من الوطن، والحرية أغلى من كل شيئ.

# جذور القسام أنا

**وليد عقل**

بقلم: رشا فرحات

حينما وضعوا كلاب حراستهم على صدري، لتشتم فيّ رائحة الإباء والعزة فلهم في الجسد رائحة مميزة، تدلهم على مكان الفلسطيني المقاوم، قاومت حينها بإصرار، ثم ابتسمت؛ فلحب الوطن ثمن، وللتضحية أصحاب يتقنونها، وليس جميعهم من يعرف التضحية، صرخت من شدة الألم، لكن أصداء صوتي عادت لتسكتني، ولتعلمني الصبر والصمود، كان ذلك قبل ثلاثين عامًا، عندما كنت أنا أول من أضاء شمعة اسمها كتائب القسام في قطاع غزة، فبقيت خلف القضبان ما بقيت، وذكراي تحشد مئات المقاومين وتصفهم كالجيوش وراء بعضهم البعض، فيبدون كخلايا النحل المترابطة، يبهجون القلب الموجوع خلف القضبان، ويرفعون ثقتي بقدرة الله وقوته، وعظمة ما قمت به قبل ثلاثين عامًا.

لطمات السجان التي سقطت على وجهي، وتفرقت في أنحاء جسدي لم يغير من أقدارها قانون ولا دفاع، من قال أن هناك شريعة تحرم الدفاع عن الوطن، تعتريني ضحكة الآن، وقد تلقيت خبر الإفراج عني، ثم تعلو الغصة في حنجرتي، ولكن دموعي لا تسقط، لم أعتد سقوط الدموع، أحدث نفسي بحشرجات الصدمة: إنه الإبعاد إذًا يا أبا خالد، هل هكذا تكون النهايات، حرية بدون وطن ولا هوية ولا عائلة.

هل تذكر يوم بدأت يا أبا خالد بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، فحولك الغضب من داعي إلى مقاوم، وتفجرت فيك كل المخططات التي كانت تدور في رأسك منذ بدأت كمعلم في السلك التعليمي، وهنا دارت الدائرة حتى وصلت إلى قيادة فرقة جهادية تحت مسمى «كتائب القسام» بدأت صغيرة فكبرت بنور الحق، وعظم المأساة التي عايشها هذا الشعب، وأكملت هي طريقها، ثم أكملت طريقك أنت في المعتقل.

ثلاثون سنة الآن، أقضيها خلف القضبان، وما زالت تدور في مخيلتي أول عملية فدائية قامت بها الكتائب بقيادتي حينما قمنا بقتل حاخام مستوطنة كفار داروم (ورون شوشان) من خلال إطلاق النار عليه، وهنا انطلق اسم كتائب القسام مرفرفًا في طريق المجد، طريق

الجهاد، النصر، طريق حلمت به طويلاً.

أحدث تلك النفس المشتاقة لكل شيء، لحضن أم، لقلب زوجة مبتور الفرحة، لأطفالي وقد أصبحوا رجالا، لشربة ماء عذبة حرة، لكل شيء بتّ أشتاق، وأردد «ما أجمل نسائم الحرية، وما ألذ الذكريات حينما تمحو أوجاعها قوة الإيمان بالله، فالعزل، والتعذيب، والتهديد بالقتل، وعلامات الضرب المبرح، وسواد الزنزانة، ذكريات تضحكني الآن بعدما علا صوت الحق، فخرجنا، رغم أنوف الرافضين.

أنزل سلالم الطائرة إلى أرض تركيا برفقة تسعة من الأحرار، أخيرًا صوت الحرية يتردد في أذني، يدفعني دفعا إلى الحياة، فهنا سأبدأ من جديد، وإن كان الإبعاد قسرًا، يكفي أن أكون أنا البطل، ويكفي أن أحمل في صدري الحنين إلى الوطن، فكل أوطان المسلمين هي وطني، بكتائب القسام اعتقلت قبل ثلاثين عامًا وها أنا أستنشق الحرية على يدها أيضًا، فشكرًا لتلك اليد.

# عتمة الزنزانة

**إيهاب قنن**

بقلم: هيثم غراب

عتمة الزنزانة، وظلم السجان، وقسوة الغربة والابتعاد عن الأهل والناس الذين ألفتهم عيني، لم يكفِ، كل هذا وغيره كثير من المعاناة، ذلك السجان ذو الوجه القبيح، الذي يتفطر قلبه حقدًا إذا ما رآني وإخواني قد انتزعنا ابتسامة من فراغ أوقاتنا وسنيً أعمارنا التي تنقضي تباعًا داخل أقبية السجون المقيتة.

سنتان ونصف مرتا عليّ وأنا في انتظار العملية التي سجلت لها بعد صراع مرير مع الألم، ليالٍ طويلة قضيتها أقبض على وجعي وألمي الذي أضحى لازمة من لوازم حياتي.

فقد ابتُليت فوق سجني أن أُصبت بما يعرف بـ»الافتاق» في منطقة البطن لدرجة أنني كنت ومع المدة الطويلة والإهمال الطبيّ المتواصل أستطيع وضع يدي كلها داخل منطقة «الافتاق».

أيام كثيرة مرّت، امتدت كما ذكرت لعامين ونصف، وأنا أتناول نوعًا محظورًا من المسكنات لا يتوفر سواه داخل عيادة السجن، سبب لي انتفاخات وتضخمات في جميع أنحاء جسمي، حتى أن الصور التي أرسلتها لأهلي من داخل السجون وقد ظهرت خلالها وكأني اكتسبت مزيدًا من الوزن ما كان ذلك سوى انتفاخات بسبب ذلك المسكن اللعين، الذي علمت بعدها أنه محظور في كل بقعة على الكرة الأرضية إلا في السجون الصهيونية.

التفاصيل التي سأتركها رغم قساوتها طويلة، امتدت مع امتداد ألمي الذي فاق الخيال، ويا الله ما أطولها تلك الليالي التي قضيتها وأنا أقبض على ألمي، وأصارعه من أجل البقاء قويًّا، أما السجان فالذي ينتظر مني ومن غيري من الأسرى لحظة ضعف، يستطيع الولوج من خلالها إلى مربع الشماتة والانتشاء بشعور الانتصار على إرادتي وإرادة من معي من الأسرى.

بعد جدال طويل ومحاولات كثيرة وصولات وجولات مع مدير للسجن، استطعت تحديد يوم خروجي للعملية.

الساعة كانت السادسة صباحًا، كنت قبلها قد لملمت بعض أغراضي التي اعتقدت أنها قد تلزمني، اقتادوني إلى غرف الانتظار، لا يعتقد أحد أبدًا أن هذه الغرفة تحمل في مضمونها مسمّاها؛ فهي لا تزيد عن كونها غرفة للتعذيب ومحطة من محطات الإذلال، يتم تفتيش الأسير فيها تفتيشاً دقيقاً وبطريقة عنيفة ومذلة.

انتهى كل شيء وحان موعد توجهنا إلى مستشفى الرملة، ذلك المسلخ الرهيب والمكان الذي عايشت فيه مأساتي التي لن تذهب عن خاطري ما حييت.

دخلت إلى الباص المخصص لنقلني ومن معي من الآخرين (البوسطة ) مقيدي الأيدي والأرجل، معصوبي الأعين، على كراسي حديدية لا ترحم، وسائق يتعمد إيذاءنا عبر سياقته المتهورة والمتعمدة أن تمزق جسومنا وتخلخل عظامنا مع كل مطب أو حفرة أو توقف متعمد مفاجئ.

استمرت الرحلة ما يقرب من اثني عشرة ساعة كانت عبارة عن تعذيب جسدي رهيب، فلو أننا سرنا على أقدامنا لكان خيراً لنا.

وصلنا وتم تفتيشنا مرة أخرى تفتيشاً دقيقاً وتم إدخالي إلى مستشفى الرملة حيث العشرات من الحالات التي تبكي القلب، فهذا أسير قد أجريت له عملية القلب المفتوح وآخر قد عجز عن المشي فهو يرقد في سريره دون حراك، أسرة بعضها فوق بعض فهي لا تشبه أسرة المستشفيات العادية.

تعاملت مع ما رأيت على انه أمر طبيعي كوننا نتعامل مع احتلال لا يرعوي لقانون إنساني ولا لمشاعر آدمية، لكنني كنت أحمل في داخلي أملاً أن أعمل العملية المقررة لي ويتم بعدها اختفاء ألمي الذي أكل من جسدي وشرب.

التقيت هناك بالأسير الممرض أكرم سلامة وتحدثت معه عن حالتي كونه من يعتني بالأسرى المرضى هناك تطوعاً، وهنا كانت المفاجأة التي كادت تقتل الأمل في قلبي.

فقد أوضح الأخ أكرم لي ولأسير آخر جاء ليعمل معي ذات العملية أن الشواغر من الأسرّة الموجودة داخل المستشفى والتي من المقرر أن ننقل إليها بعد إجراء العملية لا تصلح لمن يقومون بمثل عملياتنا المقررة كونها تحتاج لصعود السلم، والأسرة التي في الأدوار الأرضية لا يمكن تفريغ أحدها كونها مشغولة بحالات صعبة من الأسرى لا يمكن تحريكهم منها.

صدمت وأخي مجدي من هذا الأمر بل وصعقنا وهنا بدأت معركة جديدة مع المشرفين على هذا المستشفى، حاورناهم فلم نجد منهم إلا أذناً من طين وأخرى من عجين، حاولوا

أن يوصلونا لمرحلة نطلب منهم إعادتنا إلى سجننا دون تنفيذ العملية، ونحن ما صدقنا أن نصل إلى ما نحن فيه الآن، فقد أضحت عمليتنا قاب قوسين أو أدنى.

طلبوا منا أن نقر كتابياً بأننا نرفض إجراء العملية، بعد جدال وجدل استمر طويلاً توصلنا إلى اتفاق أن يتم وضعنا بعد العملية في زنزانة انفرادية أنا والأخ مجدي ويتوفر فيها أسرة ترتفع عن الأرض بمقدار شبر واحد، وعلى مضض قبلنا بذلك على أمل أن يحدث أمر آخر بعد إجراء العملية.

أجريت أنا والأخ حمدي العملية بعد تقييدنا في الأسرة في مشهد ذكرني حينها بالذبائح حين تقتاد إلى مكان ذبحها وسلخها وتقطيعها.

تم تخديري للعملية بشكل كامل وما أن بدأت في استرداد وعيي حتى تم نقلي وأخي مجدي إلى داخل تلك الزنزانة، كانت زنزانة صغيرة جداً رطبة، تمتلئ أرضيتها بالماء، رائحة كريهة تنبعث من مكان خصص لقضاء الحاجة، الفراش متسخ لم نستطع الجلوس عليه.

كنت في حالة إعياء شديد فلا زلت أقع تحت التخدير وحالتي صعبة للغاية، وجرح العملية يؤلمني بشكل كبير، وأخي مجدي يبكي من شدة الألم.

بدأت أحاول تقليب الفراش وتغيير ملاءة السريرين بخطوات محسوبة، واستمرت هذه العملية ما يقرب من ساعة كاملة لأنني كنت بطيئاً جداً في حركتي، وحريص جداً على عدم إيذاء نفسي بحركة غير محسوبة.

عشنا في الغرفة ما يزيد على أربعة أيام لم يدخل إلينا ممرض أو مختص، اعتمدت على نفسي وقمت بتنظيف الجرح ومكان العملية بطريقة علمني إياها الممرض الأسير أكرم سلامة وكنت أعلم أن الأخ مجدي لم يكن يتحمل القيام بذلك لذلك كنت متيقناً من عدم قيامه بتنظيف الجرح.

كان الطعام. آه من هذا الطعام كان يوضع لنا على حافة الزنزانة، ومن شدة الألم وعد القدرة على الوقوف أقوم بالتقاطه زاحفاً وعلى مراحل، كانت رحلة نقل الطعام بمثابة عذاب جديد يضاف إلى الألم والمعاناة التي أحياها ورفيق الزنزانة والجرح الأخ مجدي.

التفاصيل كثيرة، غير أن أقساها على الإطلاق ما حدث بعد أيام قليلة من العملية، الساعة كانت السادسة والنصف صباحاً كنت مستلقياً على سريري، فإذا بالأخ مجدي يصرخ علي مستنجداً، قمت بصعوبة بالغة وحين دخلت عليه الحمام هالني ما رأيت.

الأخ مجدي جرح عمليته مفتوح بالكامل، متعفن بشكل كبير، وملتهب ومتورم، أمعاؤه ظاهرة وقد خرج بعضها، الدم ينزف بغزارة، وجهه وجسمه أصفر كحبة الليمون، لا يستطيع الحراك، ماذا بوسعي أن أصنع، صرخت، ناديت فلا مجيب، لم يلتفت إلي أحد.

عدت إلى مجدي وحملته، تصوروا معي حملته وأنا لا زال جرح عملية الافتاق رطباً، فتفتحت ثلاثة من غرز العملية وبدأت أنزف أنا الآخر، عاودت الصراخ من جديد، وبعد وقت طويل جاء أحد السجانين، وقام بشتمي وسألني عن سبب صراخي فأجبته أن مجدي يموت وأنه ينزف ورأى الدماء وغادر وكأن شيئاً لم يكن.

عاودت الصراخ فلم يجبني أحد، واقترب موعد العدد بعد الظهر، فاهتديت لفكرة، حيث وضعت الأخ مجدي داخل الزنزانة وعندما جاء الضباط للعدد سألوني عن مجدي فقلت لهم لقد مات، تساءلوا كيف مات وحدثت بلبلة.

ودخلوا عليه فطلبت منهم نقله إلى المستشفى من جديد فرفضوا ذلك حتى يلبس ملابس السجن وبعد جدل قمت بتجهيزه ومساعدته في لبس ملابس السجن فنقلوه إلى المستشفى حيث قام الأخ أكرم سلامة بالاعتناء به.

تواصل بعد ذلك نزفي للدم، وبدأت تظهر علي ذات الأعراض التي ظهرت على الأخ مجدي، صرخت فلا مجيب حتى مر بي أحد الأسرى من عرب الداخل، فرجوته أن ينادي في الساحة بأعلى صوته قائلاً «يا أكرم سلامة إيهاب يموت إلحقوه».

وبالفعل نادي الأخ جزاه الله، وهنا أضرب الأسرى عن تناول جرعات الدواء وطلبوا بإحضاري عندهم وبعد ضغط منهم تم نقلي لتبدأ بعدها رحلة شاقة من التمريض على يد الأخ أكرم سلامة واستمرت بعد خروجي من عنده بعد ثمانية عشر يوماً لمدة سنة كاملة حتى التأم الجرح ولا زالت وخزات الألم تلاحقني حتى اللحظة وقد علمت بعد ذلك أن الأخ مجدي بقي ينزف بعد خروجه من عندي مدة أربعة أشهر وتعافى بعد ذلك والحمد لله.

فلسطين، غزة، ١٠ يونيو ٢٠١٣، ناشطات من الكتلة الإسلامية- قسم الطالبات التابعة لحركة حماس ومؤسسة طلابية أخرى ينظموا وقفة أمام المقر الرئيس للجنة الدولية للصليب الأحمر بمدينة غزة لدعم ومساندة الأسرى الفلسطينيين والأردنيين المعتقلين في إسرائيل. وتظهر الطالبات في الصورة الأولى وهن يحملن صور الأسير الفلسطيني-الأردني ضرار أبو سيسي، والذي اختطفته قوات إسرائيلية خاصة من مكان عمله من العاصمة الأوكرانية كييف. ومن بين هؤلاء الأسرى الشيخ سامر بحيص، باسل خالد دويكات، أنس محمود جاد الله ومؤيد جميل شراب، وأربعتهم سياسيون يتبعون لحركة حماس من سكان مدينة نابلس، بدءوا في إضراب مفتوح عن الطعام احتجاجاً على أوامر الاعتقال الاداري الصادرة بحقهم.

# حين يسرجها دمي!

**خضر عدنان**

بقلم: فيحاء شلش

سرت بضع خطوات خارج منزلي تغطيني الشمس بدفئها وتحملني خضرة الأرض بعبقها الفلسطيني الذي أعشق، شدّتني تلك الصورة الرائعة لمزيج من الذكريات بحلوها ومرها؛ فكم كنت أتوق لمجرد أن تلمح عيناي من بعيد هذا المشهد البسيط النضر وأنا أقاوم جدرانا غليظة منعت النور والهواء والأفق الجميل.

لا يحمل الأسر في ذهني إلا الموت والقهر مرادفا؛ هناك أمضيت خمسة أعوام متفرقة ولوائح الاتهام تدينني بانتمائي لوطني، وبينما أنا أتنفس الحرية لحنا وأغنية وصلني استدعاء لمقابلة الاحتلال فمزقته ورميته تحت قدمي لأنني لم أشأ أن تكون أيام عمري رخيصة في نظرهم.

وقتها بدأت أضخ فكرة رفض الاعتقال والاستدعاءات لدى الشبان من حولي فحريتنا أغلى ما نملك وكم أثخنتهم الزنازين جراحا وآلاما، نقلت فكرتي بمقاومة الأسر بأي طريقة كانت حتى لو وصلت إلى الاختفاء والمطاردة؛ فذاك يرهق قطعان المحتل ويغرس روح الثبات في قلب كل شاب، بل يزرع خنجر التحدي في صدر الكيان الصهيوني كلما ظن أنه يستطيع استعبادنا وسلب نور الشمس من محيانا.

أشهر قليلة فقط حتى أعيد اعتقالي للمرة التاسعة وكم يحمل العدد من القهر ومحاولات الإذلال، اقتادوني إلى أقبية التحقيق وما هي إلا غرف لاستعراض القوة على أجساد مقيدة فترسم اللكمات والأدوات الحادة آثارا تحتفظ بها السنون، هناك ذقت الهمجية بما يحمله كل حرف من تجبر وغطرسة، فأنا لديهم مجرد رقم يستقوي عليه أشباه رجال ويحاولون سلب معاني العزة من خلاياه، لكنني كنت الحر رغم ذلك وتشبثت بالصبر حتى مل الصبر ذاته!

منذ بداية اعتقالي وطيف الحرية يلوح أمامي أريد أن أصطاده بأي طريقة؛ استذكرت بثي للعزائم في نفوس أصدقائي وإخواني فلمعت الفكرة في ذهني أن أمزق القيد وأكسر جبروت السجان، حينها أعلنت الإضراب عن الطعام بشكل فردي وكنت أعلم ما عواقب

ذلك أمام ظلم المحتل؛ ولكن الحرية أغلى والشهادة أسمى.

خضت الإضراب ولم أحدد له سقفا معينا ولم أراهن على شيء سوى إيماني بخالقي، كنت كلما مر يوم أشعر بثقلِ عام كامل مرّ لأستقبل آخر أثقل بكثير، لم تكن الفكرة سهلة التنفيذ ولكنني عزمت أن ألقن المحتل درسا في العزة والتحدي، ولم يقصّر هو في محاولات إضعافي طيلة فترة الإضراب، فلا أنسى الإهانات التي تعرضت لها ونقلي من سجن إلى آخر وأنا هزيل الجسد ضعيف الهمة تتداعى أعضائي كلها شاكية ظلم من ظلمني، لا أنسى كم حاولوا مساومتي تارة وقتلي بإهمالهم تارة أخرى، لا أنسى غدرهم ولا ظلمهم لحظة ولا وحشية يتقنعون فوقها بإنسانية كاذبة أمام العالم.

أدخلوني مرة إلى جلسة محاكمة ولم أقو على المشي، كنت محاطا بعشرات الجنود وبقضاة لا يشبهون القضاة إلا بأثوابهم، منظرهم استفز روح المقاومة بداخلي فصرخت من جوفي «الإضراب مستمر حتى الحرية والعزة والكرامة» وكأنها هزت القاعة كلها ونشلتني من ضعف إلى قوة ومن تعب إلى خلاصة العافية، أخرجوني بالطبع على وجه السرعة يحاولون إخماد صوتي وكبت أنفاسي وبعدها عدت إلى مسلسل القهر من جديد.

٦٦ يوما لم تدخل كسرة خبز في فمي ولم أشرب إلا ماء وملحا أسميته في ذاتي محلول الكرامة، كنت أحلق بذهني بعيدا إلى صورة الشمس وقطعة الأرض الخضراء أشتاق لألمس ذرات ترابها وأشتم رائحة أشجار اللوز والليمون المزروعة بعناية كل خلية من أجسادنا، ثم أجزم في كل مرة أن المحتل لا يمكن أن يفهم يوما حكايتنا مع أرضنا وألحانا عزفناها على حبها.

تدهورت صحتي بشكل خطير فتلك كانت أطول فترة إضراب في حينه، كنت أتعرض للضغوط والمضايقات والمساومات كي أنهي الإضراب ويبدأ بعدها التفاوض حول وضعي في الأسر، ولكنني كنت واضحا ولم أقبل أن أكون في موقف الضعف بل أنا القوي بعزيمتي، رفضت أن أنهي معركتي إلا بتحقيق مكسب يوصلني لمرادي؛ لمنزلي لعائلتي لابنتيّ وأشجان الطفولة التي أضاع الأسر عني الكثير منها. وأخيرا جاء رد المحتل ذليلا بالاستجابة لمطلبي بالحرية في تاريخ معين؛ وقتها حمدت الله كثيرا وسجدت شكرا وأنهيت معركتي منتصرا تظللني فرحة الحر بكسر قيده.

تجربة الإضراب لم تكن فردية بنظري فكم ابتسمت روحي لخوض أسرى آخرين التجربة ذاتها وانتفاضهم على القيد بنفوسهم العزيزة التي تأبى الضيم، فنحن أحرار ولدتنا أمهاتنا أحرارا.

# حقائق وأرقام عن الأسر

- ٨٠٠,٠٠٠ فلسطيني تم اعتقالهم منذ عام ١٩٦٧
- ٧٥,٠٠٠ اعتقلوا منذ بداية انتفاضة الأقصى
- ٢,٠٠٠ حالة تعذيب في عام ٢٠٠٨ لوحده
- ٦٤٥ شكوى متعلقة بالتعذيب وسوء المعاملة مقدمة ضد محققين الشاباك بين عام ٢٠٠١ وأواخر العام ٢٠١٠
- لم يتم إجراء أي تحقيق جنائي
- بين آذار/مارس ٢٠٠٢ وتشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢، ألقي القبض على ١٥ ألف فلسطيني في حملات اعتقال جماعي

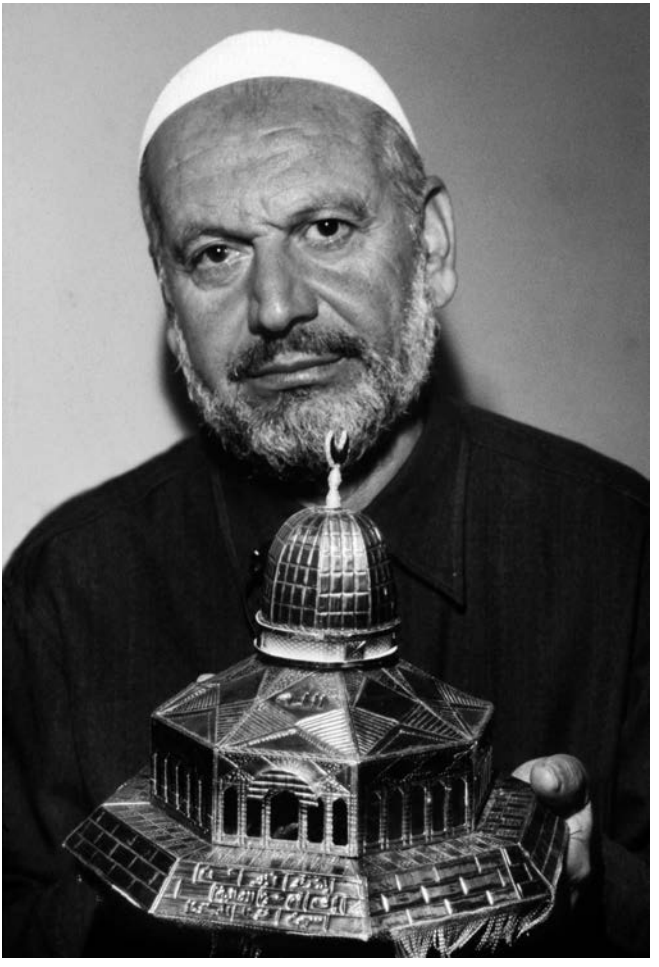

نموذج مصغر من قبة الصخرة صنعه أسير فلسطيني أثناء احتجازه في سجون الاحتلال الإسرائيلي على خلفية سياسية. غزة، فلسطين.

# «جلبوع» خط أحمر

**مراد أبو ركاب**
بقلم: معاذ العامودي

حين جاءني الخبر للحظات الأولى أصابتني قشعريرة هزت أركان بدني بالكامل، فقد أبلغت للتو أني سأنتقل لسجن «جلبوع» الواقع في غور «بيسان» شمال فلسطين المحتلة، حيث الحراسة المشددة، خمسة أقسام في السجن في كل واحد منها ١٥ غرفة تتسع لثمانية أسرى، وازدحام شديد لدرجة أن يفترش بعض الأسرى الأرض، تم بناؤه بخبرات إيرلندية، ومعظم من يعمل فيه اليوم من «الدروز» وهنا مربط الفرس.

لا الشمال ولا الحراسة ولا التشييد يخيفني ويؤرقني بقدر ما تؤرقني السياسات المذلة المتبعة، فالسجن يعرف لدينا في السجون بأنه سجن الإذلال، حيث التفتيش العاري «كما خلقتني أمي» بدون أي ملابس ينادي علي السجان « هي اطلع وانزل ٥ مرات بسرعة» وأنا عاري، سأقف أمام ٣٠ شرطي بالعصي والهراوات، وأي نظرة مني سأتعرض للضرب مباشرة في جميع أنحاء جسمي، وأخذي للزنازين، يا الله ما هذا الإذلال؟

حاولت جاهداً منع نفسي من قرار النقل فما استطعت، سيارة النقل اللعينة تصطف على باب سجن الرملة، خرجت مكبل اليدين والرجلين، تسير السيارة بي في أراضي جميلة، والشارع محاط بالأشجار من كلتا جانبيه «يا الله ما أجمل بلادي» نظرت من نافذة السيارة الأمنية المحاطة بالقضبان، ووصلت سجن جلبوع.

الجنرال الدرزي «فراشة» هو من يقر السياسة داخل سجن جلبوع هذا ما عرفته من الأسرى، وهو من يتعمد إتباع السياسات المذلة للأسرى، وسياسة التفتيش العاري، قامت الشرطة بتفتيشي تفتيشاً عارياً دون أن أحرك ساكناً فالمكان شديد التحصين، ومن فيه وحوش بقناع بشر، إن حركت ساكناً من الممكن أن أقتل تحت الضرب والتعذيب.

علمت أن المسئول عن التعذيب والتعرية في السجن هو الرائد أو العقيد «مَحَاسِنْ» لست من حفاظ الألقاب بقدر ما حفظت الإذلال الذي ذقته عاريًا، ويحكم أيها الجنود! ويْحَكَ أيها السجان! أنا فلسطيني ثائرٌ بعت نفسي وروحي لله، وكرامتي من أنفاسي، إن ذهبت غرقت في موتي.

في ساعات الصباح الأولى لملمت ما تبقى لي من كرامةٍ، محاولاً استجماع بعض الزيت وسمنة «المنجرينا» ووضعتها في علبة تونة فارغة على النار، الزيت يغلي وأنا أغلي، أنا أغلي والزيت يغلي، في مخيلتي موقف الأسرى أخواني عراه، وصوت السجَّان يطرق في أذني وسط جمع من الشرطة «اطلع انزل يا ابن... يلعن... يفضح... أمك... أبوك... عائلتك... حماس... فتح»، صَلَيَاتٌ من رصاص الشتائم بوجهي، والزيت يغلي، وأنا أغلي، وأضفت السُّكَّر على الزيت ليزيده غلياناً وصلابة.

الزيت يغلي وأنا أحاول استجماع ما تبقي لي من قوى، فتلك التي انهارت تحت سياط التعذيب والشتائم والتعري، صمت يجوب المكان، لا صوت يعلو فوق صوت الزيت المتفرقع على النار، في الممر خطوات أقدام تقترب ببطء، والنار تغلي في صدري، ووقع أقدام محاسن في الممر، يفتح باب قسمي، يفتح باب قلبي، أنا ابن الأكرمين أيها اللعين، أمسكت بعلبة ا لزيت المغلي بقطعة من القماش بيدي ورشقتها في وجهه، من تفتش؟ من تذل؟

لست آبه بكل النتائج، فكل النتائج هيِّنة بعدك يا كرامتي، لم أسمع إلا صوت الصراخ من «محاسن»، ٢٠ عاماً يعمل في مصلحة السجون، يمارس الإذلال اختصرتها كلها بعلبة الزيت هذه، اصرخ أيها الأحمق، كم كنت تذلنا، هجمت عليه بشَفْرة في يدي لكي أقطِّعَهُ إرباً إرباً، منعني بعض الأخوة في القسم وأمسكوني، ساعات من الخيال عشتها. يا الله من أنا؟ كيف جئت إلى هنا؟ من هذا؟ ومن ذاك؟

علت أصوات جرس الإنذار في كل أرجاء السجن، وبعد عشر دقائق دخلت القوات الخاصة ورشوا غرف السجن بالغاز المسيل للدموع، جميع الأسرى في حالة غثيان، أخذوني على منطقة منفصلة، وبدأ الضرب ينهال علي من كل جانب ومن كل اتجاه، وأنا أصرخ، والضرب يبدأ، لم اشعر بقساوة الضرب، فقد غطَّت حلاوة الانتقام عليها، وضعتني الشرطة في زنزانة انفرادية والقيود في يديَّ ورجليَّ.

بعد ثلاثة أيام من الغيبوبة داخل الزنزانة، استيقظت دوار كبير يدور في رأسي، فرشتي مليئة بالدماء، جسدي مثقل والكدمات تحيطه من كل جانب، حولوني لعزل انفرادي لثلاث سنوات التقيت فيها مع لفيف من قادة الأسرى يحيى السنوار، جمال أبو الهيجا، روحي مشتهى، على العامودي، محمد دخان. فرصة طيبة كانت لي لأتعرف بهم وأخالطهم.

استيقظت كعادتي كل صباح، ولكن اليوم مختلف، فقد حوكمت بسبع سنوات إضافية على العشرين الأولى، لتصبح ٢٧ عاماً نتيجة فعلي، وتم تصنيفي كأسير خطير، تتابع كل حركاتي، وكلماتي.

لو أني حكمي عشرين عاماً، لو لم أخرج من سجني في صفقة وفاء الأحرار، فمعيار الأسماء كان لأكثر من عشرين عاماً، وحرق محاسن جعل اسمي يدرج خلال الصفقة، ولله الفضل والمنة في ذلك، ومن أراد رفعة الله. رفعه الله ورفع مكانه.

كانت فعلتي هذه التي أفتخر بها شرارة لكسر الخط الأحمر في سجن جلبوع، أسير آخر ينهال على ضابطٍ في السجن، وآخر يضرب اثنين من الضباط بقوة وعنفوان، وفي اليوم الرابع لحادثتي، مجموعة من الأسرى يضربون أثنين من الشرطة داخل القسم.

وساطات كبيرة خاضها السجانون في جلبوع مع الأسرى طالبين منهم التوقف عن ما يقومون به، ولهم ما يريدون، لتنخفض درجة الإذلال، ويتوقف التفتيش العاري بفضل الله.

كيف لا وصورة السجان القبيح محاسن وهو محروق الوجه تتصدر الصحف والجرائد الصهيونية، والخبر يمر على الصحف العالمية، وبقي الشعار «سجين يرفض الإذلال ويحرق السَّجان».

رسائل وصلت للبنان وسوريا أن يكف مجموعة من سجَّاني «الدروز» عما يمارسونه من إذلال بحق الأسرى في السجون، بعد أن فرضوا أنفسهم وسط معادلة ليس لهم فيها علاقة، وبات الأسرى يفكرون بالانتقام، طلبت مني مصلحة السجون أن أعتذر فقلت لهم « لم تشاهدوا شيئاً بعد».

وفي صفقة وفاء الأحرار خرجت من السجن، بعد أن كسرت الخط الأحمر لجلبوع، نقلت جزءًا بسيطاً خصَّني من واقع معاناة كبيرة، للأسرى داخل السجون، للشوق والحنين. وكما الحرية موعدي فهي موعدكم أيها الأسود.

ولتبقى هاماتكم مرفوعة فنحن أصحاب الحق، وهم الأذلاء، ولتبقى هاماتكم مرفوعة أنتم الزيت الذي نضيء به سراج الانتصار، وتراتيل العزة والكرامة. وبعد عشر سنوات من الأسر تحررت وعدت لبيتي في منطقة «الزوايدة» وسط قطاع غزة والحرية موعدكم جميعاً. أحبكم.

# «حين غادرتني الحنون»

**نزار التميمي**

بقلم: فيحاء شلش

ربما كانت المشاهد في مخيلتي متقطعة عن ذاك اليوم مبهمة الملامح بل مشوهة اللحظات، أو ربما أنا كنت أريدها كذلك. فواحد من أقسى الأوقات في حياتك لا تريد أن تستذكره دوما رغم أنه يدق كل خلية في ذاكرتك، يستوقفك كلما ابتسمت ويسرق أي فرصة حتى للتناسي.

هو اليوم السادس والعشرون بعد اعتقالي، كنت أتهيأ نفسيا لحضور إحدى جلسات المحاكمة غير مكترث بجندي يكبّل قدميّ ويداي وآخر يتفحص كل شعرة في جسدي وثالث يدفعني من ظهري ليحثني على السير أينما يريد، بينما لم تترك الأبواب ومرات التفتيش الهستيرية هذه المرة في نفسي شيئا من الغضب المكبوت لأنني لم أكن في عالم السجن وقتها، أقصد ذهنياً. كانت الأفكار كلها متراكمة في عقلي والمشاعر تتزاحم في قلبي شوقا لرؤية والدتي الحنون التي توقعت أن تكون أول الحاضرين في جلسة المحاكمة، ستة وعشرون يوما أماه لم أملأ فيها عيناي من نور وجهك، ستة وعشرون يوما لم تغب فيها صورتك الوادعة عن ناظري وإن كان السجان يتفنن في تعذيبي.

أشعر بغصة في قلبي لا أدري مصدرها ولن أكترث لها، فلن أسمح لشيء أن يعكّر صفو لحظات اللقاء في قاعة المحكمة وإن كان صامتا تحفه أحقاد العساكر. دخلت القاعة وراحت عيناي تبحثان عن سيدة أربعينية هادئة انتزع المحتل فلذة كبدها عنوة ولم أجدها، وجدت شقيقي فقط مقطب الحاجبين عابساً لسبب أجهله. لوحت له وسألته عن الوالدة فتمتم بعبارات لم أفهمها أو ربما لم يرد لي أن أفهمها. زاد ذلك من غصتي وشعرت بقلبي يهدر بنبضه بشكل متسارع.

وقف القاضي الصهيوني وزمرة الادعاء في قاعة المحكمة ورفضت الوقوف لهم، وكانت عيناي تحملقان في العلم الدخيل طيلة الجلسة وهم يرددون التهم ويقرؤون اللائحة ويتبادلون الجمل والمداولات مع المحامي. تفكيري بقي مشلولا، أين أمي؟ لماذا لم تأتِ؟ انتهت الجلسة وأنا أكاد أجن!

أعادني الجنود إلى غرفة التوقيف التي أمضيت فيها معظم أيام اعتقالي، ودّعتُ شقيقي بتلويح يدي ببطء وما زلت أقرأ في عينيه كلاما كثيرا يهز جبالا كدت أدفع عمري كي أعرفه. وبعد ثلاثة أيام فوجئت بزيارة شقيقتي الكبرى عبير، وهي زيارة طارئة سُمح لها بها عبر التنسيق مع هيئة الصليب الأحمر. ولا أكتم سرا أنني شعرت بقبضة أخرى في قلبي حين علمت بأمر الزيارة، تصنّعَتْ الابتسامة ونظرَت إلى عيني وبدأت تسألني عن أحوالي، أجبتها وكأنني أنتظر كلاما آخر منها، وحينها أخبرتني بصاعقة نزلت على رأسي وحطمت كل كياني.

المستوطن الذي قتلته انتقاما لأرضي الجريحة كان أقرباؤه يتواجدون بالقرب من قاعة المحكمة يومها، وحين نادوا على عائلة «نزار التميمي» للدخول إلى القاعة كانت الوالدة تسابق الخطوات كي تراني، ولكن عائلة المستوطن أحدثت جلبة ومنعتها من الدخول فتجمع الجنود والسجانون لفك ذاك الشجار، وعن قصد أقدمت إحدى السجانات الحاقدات على دفع أمي، الحنون التي تقطعت ألما عند إنجابي وربتني عشرين عاما وفرحت لفرحي وحزنت لحزني وسهرت لمرضي وبكت لألمي. أصابها نزيف في الدماغ ونقلت إلى المستشفى في حالة موت سريري. ثم فارقت الحياة. «نزار. عظّم الله أجرك، توفيت وهي تدعو لك».

فجأة توقفت كل الحركات، توقف الزمن والأنفاس والأصوات وكل ما هو حي. تسمرت في مكاني وتوقف تفكيري، حينها أحسست أن روحي تُنتزع رغما عني، شعرت برغبة قوية لهدم كل الجدران المحيطة بي والذهاب مسرعا إلى أمي علّي أجعلها تستفيق فلم أصدق ما قالوا. لم أقو على النظر في عيني شقيقتي ولا حتى على البكاء. كبتتُ كل الغضب والحزن في صدري وأخرجته آهات وأنات فيما بعد ولأيام طوال على غياب الحنون. تشبثتُ بالصبر مرارا واستسلمت للدموع أحيانا كثيرة. قاطعني النوم وهجرتني الأحلام أياما ولم تزرني سوى صورتها الأخيرة من بين أشباك وأسوار فتحوِّل سجني إلى جنة. كنت أردد وقتها وما زلت «رضاكِ يا أمي. رضاكِ يا حنون».

# وداعًا أصدقاءَ المعتقل

**رأفت العروقي**

بقلم: رشا فرحات

بتسم، عشرون عامًا مضت، لماذا أراها أكثر بكثير، تغلَق الزنزانة خلفي، فيقف قلبي ولا أقوى على التفاتة، يدان من خلف القضبان وقفت هناك، بقيت وحيدة، صديق المعتقل، هل هناك من هو أعز من صديق المعتقل، يداي ترتفعان، تلوحان، وداعًا، وكأن الوداع كان قدرًا من أقداري ملتصقًا بي لآخر العمر، وسجان يجر آخر ما تبقى من أفراح، تتعلق ذكرى وقع أقدامه كل ليلة فتتشبث بالذاكرة، تمتطي وجع الليالي، فلا تغادرها، أردد ترانيم الخبر المفرح «اسمي مدرج في تلك الصفقة» أهز رأسي فأستفيق على يقين بأن ذلك ليس حلمًا.

أرجع رأسي إلى الوراء قليلاً للمرة الأولى، لا أشعر برطوبة هذا الحائط، أبتسم، ثم أضحك، ثم تنسل الدموع من بين الضحكات؛ فأول نسمات الحرية بدأت تتسلل من فتحات النافذة الحديدة، وغدًا، يوم العودة، وصورة أم تعد العدة لاستقبالي، وتلف عقدها الذهبي اللامع حول رقبتها، أعلم تمامًا ما تفعله الآن، تنظر في وجوه فتيات الحي، فمن منكن تصلح لأن تكون زوجة البطل، سيد الرجال، ابني رأفت.

أخرج أخيرًا، تلمع أمام عيناي أضواء الحرية وتشرق الشمس بقوة فتخترق عشرين سنة من عمر تعوَّد التنقل بين الزنازين، وعرف طعم المطاردة منذ لمعت فكرة المقاومة في رأسي، أنا ذلك الشاب الصغير الذي تجرع مرارة الفراق، وما زال يتجرع، وأمي الحزينة المتلهفة تنتظرني هناك على الجانب الآخر من الحرية، وترتفع دعواتها فأسمعها عبر الأفق الفاصل بيننا، كما كنت أسمعها طول عشرين عامًا سابقات.

ألج إلى البيت، خطوات متسارعة مع دقات قلب راكضة ويدين مرتجفتين، أنظر في أرجاء المكان القديم، تسقط عيناي على أشجار زرعتها يدا أمي، قبل سنين، حيث لم أكن، أمي تدور حولي، تتراقص على نغمات الحرية، وتعلو زغاريدها في أرجاء المكان، تتوشح ثوبًا جديدًا طرزته خصيصًا لهذه المناسبة، يرقد في خزانتها منذ سنين، يتلمس وجع انتظارها، وأنا في المنتصف أقف، أنظر إلى عيون النسوة الراقصات حولي، أحاول التعرف على وجوههن،

وصفقات أيديهن تتمايل بالحناء، فكل منهن تقول إنها أختي، أعرف إنهن ثماني أخوات، ولا أتذكر وجوههن، وقبيلة من الأطفال على باب البيت يتزاحمون، ينظرون إلى وجهي الذي لا يعرفونه، يوم ولدوا مع مطلع نهار قديم، وكنت أنا حيث لا ولادة في المعتقل، ولا ضوء في الزنزانة.

أدخل إلى غرفتي، أخلع ملابسي القديمة، يناولني أخي قميصًا جديدًا، وبنطالاً، وحذاءً لامعًا، يفركه بفرشاة إسفنجية، لم أرها قبلاً، يرش بعضًا من رذاذ عطر على جسدي، فأضحك، يخبرني أخي عن اسم العطر، فأزداد ضحكًا، لا عطر في الزنزانة، ولا قميص جديد، ولا حذاء يلمع، ولا أعراسًا، ولا فرحة نرتدي لها لباسًا جديدًا، هي تلك التفاصيل التي غابت مع غياب الذاكرة والولوج إلى المجهول.

تدخل أمي إلى غرفتي، ما زالت تتمايل وتزغرد، لم تتوقف عن الرقص والتلويح بغطاء رأسها الأبيض، ليس عيدًا، فلم تعتد الرقص في الأعياد منذ عشرين عامًا، تستوحش هذه الضحكة، فلم تعتد خروج الضحكات من فمها منذ عشرين عامًا، ترتفع دقات الطبول، حيث لا طبول تدق هنا منذ عشرين عامًا.

تبتسم أمي ابتسامتها، وتضع أمامي صينية مليئة بالطعام، أضحك، يزداد ارتفاع الضحكات، أسأل:

ما هذا يا أمي؟

زوج من الحمام.

لم أعتد طعم الحمام يا أمي.

تعود الأم إلى حلبة الرقص، أضع أنا أول اللقيمات، فأبتلع معها مرارة فراق الأصدقاء، ثياب جديدة، وقميص ملون، وحذاء لامع، وزجاجة عطر لا يعرف اسمها، وزوجان من الحمام المحّمر، وصديق قديم تركته هناك، وحيدًا في غياهب السجون.

# الباقي: نصفُ جسد

**شعبان حسونة**

بقلم: حنان مطير

صعقت عندما شاهدته للمرة الأولى جسدًا ممزقًا. محجران بلا عينين. كتفان بلا ذراع، وذراع بلا يد. رجل بنصف قدم، والأخرى مبتورة تمامًا. يتكوّم على كرسي متحرك. بلا حراك.

الفضول، والشفقة، وألف دافع آخر. كلها دفعتني لأستقصي عما آل به لهذا الحال الرهيب.

قالوا لي: (إنه من المجاهدين القدامى. انفجرت في يده العبوة قبل أن تصل جنود الاحتلال)، وقالوا لي: (إنه كان من أمهر معدي العبوات الناسفة غير أن السهو فيما لا يجوز فيه السهو قد تسلل إليه أثناء إعداده لآخر عبوة له، وحدث ما حدث).

وقالوا لي أيضًا: (إنه كان مطاردًا وتعرض لأكثر من كمين، ولكنه كان بشجاعته النادرة يخلِّص نفسه في كل مرة بأعجوبة إلا أن قوات جيش الاحتلال أصرت بعد أن استخلصت العبر من تجربتها المحرجة معه ألا ينجو من قبضتها. في تلك المحاولة حاصروه. لاحقوه. فقاومهم بين الأزقة إلى أن اختفى في أحد البيوت. حددوا البيت الذي يختبئ فيه وألقوا بقنابلهم داخل البيت قبل أن يقتحموه عليه ليجدوه ممزق الأشلاء).

وقالوا لي روايات أخرى. جعلتني الروايات المتعددة في متاهة عن الحقيقة وكأني لم أسمع شيئًا.

ورغم أنني قد تعرفت عليه، فإنني كنت أشعر بالحرج الأخلاقي في سؤاله عن الرواية الصحيحة لمأساته. كنت أشعر أن سؤالي له هو إشارة غير مباشرة لإصابته المعيقة رغم أنه كان يعتبر جسده الممزق وسام شرفه.

أثناء خطواتي الأولى المترددة في التعرف عليه كان يدور في خلدي بأنني سألقى رجلا ممزق النفس كجسده تعوزه المواساة ورفع المعنويات، ولكنني تفاجأت بجبل يتحدى عصف الرياح. يجلس على ذلك الكرسي المتحرك، بنفس هادئة متوهجة، بإيمان متجدد، وعزة تأبى المنّ أو الشفقة. بل وجدته هو الذي يواسيني! وإنني بحق أصبحت أستمد منه

صبري على محنة السجن في لحظات الضعف التي كنت أمرُّ بها أحيانا.

كانت مفاجأتي الكبرى عندما عرفتُ أنه من حي الشجاعية، الحي نفسه الذي نشأت فيه، وأن الكثير من أبناء عائلته أصدقاء لي، وأنه يعرف كل أفراد عائلتي؛ الشيء الذي عزز علاقتي به، ولكنّ بطلا كهذا كيف لم يعلق اسمه (عصام أبو صبحي) في ذاكرتي؟ نعم، إنني كنت صغيرًا -ابن عشر سنوات- حينما اعتقل، ولكن هذا لا يبرر عدم حفظ ذاكرتي لاسمه. يا للخجل! شعرت بأني أخون بطلا مثله لعدم حمل ذاكرتي لاسمه وقصته.

والشيء الآخر الذي عزّز علاقتي به أنه كان مثلي يحب الشعر. صرت أدفعه أمامي على كرسيه المتحرك وأدور به حول ساحة السجن أثناء نزهتي اليومية. ساعةً أو نصف ساعة من كل يوم، وكنت أقرأ عليه مما أحفظ من شعر عن ظهر قلب، وفي يوم آخر يقرأ عليَّ مما يحفظ هو، ولكنه كان أوسع مني حفظا رغم سعة حفظي. حتى اضطررت لأجاري حفظه لأن أقرأ عليه مما كنت أستعير من دواوين شعرية من مكتبة السجن العامة، وكذلك كان تذوقه حساسًا جدًّا للشعر؛ فكثيرًا ما كان يوقفني عند الأبيات التي أخطئ في قراءتها، ويقول لي بثقة: (هنا يوجد كسر في الوزن)، وأحيانًا كان يقاطعني ليكمل قصيدة قد بدأتها بعد أن يشفق على القصيدة من كثرة أخطائي في تلاوتها.

وآن له بعد أن قضينا أشهرًا من الصداقة الحميمة أن يبوح لي بتفاصيل قصة جسده الممزق من تلقاء نفسه في مناسبة ما: (صنعت العبوات الناسفة كأحسن من صنع العبوات، ولم يتخلل عملي خطأٌ واحدٌ، والدليل على ذلك أنني استمريت في صناعة العبوات وإعدادها لأكثر من سبع سنوات. كنت أضع نصب عينيّ أثناء عملي أن الخطأ الأول في صناعة العبوات الناسفة. يكون الأخير دائمًا).

وبذلت المخابرات الإسرائيلية الكثير من الجهد للوصول إلى معد العبوات التي زعزعت أمنها بغزة في فترة نهاية السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات، ولكنها لم تنجح.

اعتقلت الكثير من المجموعات التي حملت عبواتي وفجرتها، ولكنها لم تتوصل إليَّ لأنني كنت أرفض التعامل مع أحد إلا عبر النقطة الميتة، ولذلك لم يكن أحد من أفراد المجموعات يعرفني ليتعرف عليَّ عند الضغط عليه في غرف التحقيق.

وفي النهاية طلبوا مني (في التنظيم) أن أدرب لهم شابًّا على صناعة العبوات ليحمل عني قليلا كما برروا لي. رفضت في البداية ثم اضطررت للموافقة بعد أن رأيت منهم الإصرار.

جاءني الشاب. كان شابًّا متحمسًا، ولكنه كان متسرعًا كثيرًا، وعملنا يحتاج إلى الكثير من التروي والأعصاب الباردة، وفي أكثر من مرة لولا تدخلي في الوقت المناسب لقتلنا بعدم تروّيه.

أرسلت لهم أكثر من مرة أن هذا الشاب لا يصلح في مثل هذا العمل، ولكنهم أصروا عليه بالذات.

وفي اليوم الموعود حدث ما كنت أحذره. جهزنا عبوةً ولم يبقَ إلا تركيب الصاعق وشاء الله أن يكون أحد الأسلاك قصيرًا، فقلت: (أمسك هذين السلكين وإياك أن يتماسا. سأحضر سلكًا لوصل السلك القصير، بسرعة). وما كدت ألتفت عنه. حتى بدأ يحاول -غيرَ عابئ بتحذيري- بشد السلك القصير ليركب الصاعق، ولكن السلك القصير مسَّ السلك الآخر، فاكتملت الدائرة الكهربية وحدث الانفجار فقتل نفسه وقتلني معه. رحمه الله).

تطاولت بعنقي نحو الأمام وأنا أدفعه أمامي على كرسيه المتحرك لأقرأ من هيئة قسمات وجهه تأثره بما قصَّ عليّ، فرأيت قسمات وجهه عادية لا تدل على شيء. أما أنا فقد عشت انفعالاتي بما قصّ عليَّ في صمت، ثم سألته بعد لحظات قليلة:

«وهل حققوا معك بعد الحادث؟»

ضحك وكأنه كان بضحكه يريد أن يخرجني من حالة الشفقة التي كان يبغضها من أيٍّ كان، وقال بصوت يخلو من الضعف أو الانكسار: «طبعًا. ولم يصبروا حتى تلتئم جروحي. أخذوني من المستشفى وألقوا بي في الزنازين. حتى انبعثت من جروحي رائحة كريهة، وضغطوا عليّ في غرف التحقيق بأساليبهم. يريدون أن يعرفوا: إذا ما كنت (أنا) صانع العبوات الذي حيرهم في السنوات الأخيرة لكنهم لم يأخذوا مني شيئًا».

- «وكم حُكمت؟»

- «خمس عشرة سنة. أمضيت أكثر من نصفها حتى الآن».

تساءلت في استنكار: «خمس عشرة سنة على عبوة انفجرت بك؟».

فقال بإيمان أثقل من الجبال: «هذا حكمُ العبيد، وأما حكمُ الله العدل فما زال في علم غيبه، وحينما يحكم ربك فلا رادَّ لحكمه».

- «لم لا تستأنف؟»

- «لقد فات وقتُ الاستئناف».

- «يجب أن تفعل شيئًا. استأنف لدى المحكمة العليا. استأنف لدى رئيس دولتهم».

فقال في غضب لم أره في مثله من قبل: «أتريدني أن أسترحمهم وأن أندم أمامهم على ما فعلت؟!»

لم أكن أعلم أن اقتراحي سيغضبه إلى هذا الحد فاستدركت ما قلته موضحًا: «حاشاك أن تسترحمهم. أنا لم أقل ذلك، ولكنني أقصد أن تلتمس منهم إعادة النظر في قضيتك لأنها

أكبر من حجم عملك».

فقال بلهجة حاسمة: «لكي نبقى أصدقاء لا تتكلم معي بهذا الموضوع مرة أخرى!»

لم أفتح معه الموضوع بعد ذلك اليوم مطلقًا لكنني لم أهمله أيضًا، فقد جندت كل قيادات التنظيمات في السجن وحثثتهم على إقناعه بهذا الأمر حتى تم إقناعه بعد جهد جهيد.

وبعد عام من تقديمه الالتماس جاءه الرد بأنه ستشكل له لجنة للنظر في أمره، وفعلا استدعي أمام اللجنة وتم التخفيف له من مدة حكمه سنتان فقط، ولكن محاميه لم يكتفِ بهذا التخفيف وقدم الالتماس تلو الالتماس. (أنتم تسجنون رجلا قد سبقه نصف جسده إلى القبر. هذا الرجل لن تطلقوه من سجنه وإن أفرجتم عنه لأنه سيحمل سجنه معه أينما ذهب؛ فأي حياة هذه التي ستكون في الظلام على كرسي متحرك وبلا أيدٍ تحمل له الطعام إلى فمه، وبأمراض تأكل في جسده الممزق. إنني أطلب الإفراج عنه وأنا أعلم بأنه سيكون هناك سجينًا في المستشفى بعد الإفراج عنه).

وأخيرًا خرجت اللجنة بقرار يسمح له بمغادرة البلاد لهدف العلاج، وذلك على شرط ألا يعود للبلاد ثانية. رفض العرض بشدة، وقال: «أفضل أن أموت مصلوبًا في بلدي ولا ترد إليَّ أعضائي المبتورة على أن أغادر هذا البلد». أسررت له بأنني لو كنت في مكانه لخرجت.

واستطاع محاميه أن يتوصل مع اللجنة إلى خروجه إلى الضفة الغربية وليس إلى خارج البلاد، ولكنه رفض أيضًا وقال بإصرار: «لن أخرج إلا لبيتي، ومن هناك أقرر أين سأعالج ومتى».

حاولت إقناعه بأن يوافق لكنه رفض بشدة، وقال لي غاضبًا: «لا توسوس لي في رأسي كالشيطان، إذا كنت تريد أن تذهب فاذهب أنت».

لم أره غاضبًا كما كنت أراه غاضبًا عندما كنت أحاول أن أقنعه بعروض اللجنة (الإسرائيلية).

وخرجت اتفاقية أوسلو للعلن بعد أيام قليلة من عرض اللجنة الأخير لتفاجئ الجميع كما يفاجئ «الحلوى» الأطفال بإخراج أرنب من قبعته، ودارت ألسنة المعتقلين حول عملية إفراج مرتقبة للمرضى وكبار السن نتيجة لاتفاقية أوسلو، وزكّت تصريحات مهندسي أوسلو تلك الأحاديث بأمانٍ أصبح يراها الكثير من الأسرى في قبضة اليد.

تلك هي المرة الأولى التي رأيت فيها عصام يتفاعل مع موضوع الإفراج كأنه كان يضمن الإفراج في جيبه؛ ففي صبيحة يوم الإفراجات حلق ذقنه وخرج إلى ساحة السجن بأجمل

حلة له، وكان أشد ما رأيته فرحًا باسمًا. قلت له مداعبًا: «من يراك اليوم يظن أن هذا اليوم يوم زفافك».

فضحك من قلبه، وقال: «هذا اليوم هو أسعد من يوم زفافي».

جلست القرفصاء بجانب كرسيه المتحرك، ولم يكن له حديث سوى عن مشاريعه -مشاريع رجل فاقد لنصف جسده- التي سيشرع في العمل لإنجازها فور تنسمه لعبير الحرية، وكان في كل دقيقة يسألني عن الساعة، ويسألني عن تحركات الإدارة. ودخل وقت العصر ولم يأتِ ما كان ينظره عصام. لم تأتِ الإدارة باسمه أو اسم غيره للإفراج، فبدأت علامات التوتر تظهر عليه وكان السجن كله يترقب من أجل قائمة المفرج عنهم.

وأتى الليل ليملأ مشاعر عصام كما ملأ الدنيا بظلمته، وأُدخل المعتقلون إلى غرفهم مثقلين بمشاعر الألم والسخط من أجل زميلهم، وخيمت على السجن ظلال كثيفة من الكآبة الصامتة. حتى الساعة العاشرة ليلا، حيث أتت قائمة الأسماء لتخلع عن السجن ظلال كآبته، وامتلأت أقسام السجن بطنين الفرح كخلية النحل، وانساق بعض المعتقلين خلف مشاعرهم فأخذوا ينادون باسم عصام ويباركون له، وكذلك صوت عصام المفعم بالفرح شمع في السجن كله، وهو يرد عليهم: «بارك الله فيكم. العقبى للجميع إن شاء الله».

أخذت الإدارة تدخل قسمًا قسمًا لإبلاغ المفرج عنهم، وفرغت الإدارة من القسم الذي يوجد فيه عصام ولم تبلغه بشيء، وأبلغت شخصًا آخر من غرفته نفسها لم يكن يتبقى لمدة محكوميته سوى أشهر قليلة بأن يجهز نفسه بسرعة للإفراج عنه.

ثارت في السجن هوجة قصيرة ثم عاد إلى صمته الكئيب بعد أن أيقن بعدم الإفراج عن عصام.

كنت أتوقع في اليوم التالي رجلا مهزوزًا على الكرسي المتحرك أو لا أراه مطلقًا لأيام أو أسابيع بعد ما حدث، ولكني شاهدت الجبل الشامخ نفسه. نعم، ابتسامته التي كان دائمًا يشرف بها كانت غائبة. ولكنه كان يبدو قويًّا ومتماسكًا. لم أجد ما أقوله له وهو كذلك، فأخذ يقرأ عليّ من الأشعار بما يشبه الرثاء.

ولم يمضِ ثلاثة أشهر على الإفراجات التي خذلت عصام حتى تم دعوته للمثول أمام لجنة ثلثي المدة. خرج إليها دون أن يحمل أملا كبيرًا في الإفراج، ولكنه عاد بعد ساعات قليلة ليودع زملاءه وهو يحمل فرحة كبيرة للسجن كله.

وودعته حينئذ. كالكثيرين من المعتقلين. بدموع الفرح.

# لم يكن حلمًا إذًا

**صمود كراجة**

بقلم: رشا فرحات

كان ذلك في الخامس والعشرين من تشرين أول من عام ٢٠٠٩ وعلى حاجز قلنديا، حيث ينقسم الحلم إلى شطرين، وتتوزع المعاناة والشقاء على كل البائسين المنتظرين لإشارة من جندي إسرائيلي ليسمح لهم بالدخول، في تلك اللحظة تفجر الانتظار بداخلي، نسيت جامعتي التي تنتظر، نسيت أمي، وإخوتي الخمسة، كل ما تذكرته هو تلك الدروس العاشقة التي تلقيتها على يد أبي، أبي الأسير القديم، أبي المناضل، لم أقوى على التحمل أكثر، نظرت بعين إلى مدينة القدس الصامدة منذ عشرات السنين، وبالعين الأخرى ركزت على صدر ذلك الجندي، فطعنته بيدي، حتى تدفقت دمائه كالشلال أمام عيناي.

وبينما تحكم الزنزانة بعشرين عاماً، وبينما ينصب ذلك الحكم على صدري كهم ثقيل، أعد الأيام ولا أعدها، أركز رأسي على طرف القضبان الحديدية، فأحلم وأحلم، بحضن أمي، بابتسامات أخوتي، بذكريات العذابات التي عاشها أبي خلف الزنازين، فاستفيق على دموع الفرح والحزن والأشواق، لم يكن حلما إذن، عامان فقط يمضيان بكل ذكرياتهما، بكل أحزانهما، ويخرج نور الحرية متسللاً من بين القضبان، يا رحمة الله الواسعة، يا قلبي الموجوع الصابر، يا دمع أمي المنتظر هناك على بوابة الحرية.

أضحك كثيراً وتعود إلى الخاطر ذكريات الزنزانة السوداء، وتلك الحشرات تتطاير هنا، وهناك، أتذكر لمسات أمي، وأضحك» كم كنت أخاف الحشرات يا أمي» ثم أتلمس رطوبة الجدران المطلية بصبرنا، والمبطنة بأوجاع التعذيب، وليالي البرد القارص، وثيابي الملونة معلقة خلف باب غرفتي، تنتظر بشوق، تبكي بحرقة، تتلهف عودة ذلك الجسد، وأثار السلاسل الحديدية تلتف حول معصمي، لتحفر ذكرى ثبات السنين، فتخرج ابتسامة صبر رغم الوجع، لا هواتف هنا لأسمع دعوات أمي كل صباح، ولا بوابة جامعة مفتوحة لأصطف على مدرجاتها كما كل الفتيات، يخلو ذلك المكان من كل مقومات الحياة، ويدي تتشبث بتلابيب جلبابي لتستر ما يريدون خلعه عني بذريعة التفتيش، وأشد على رأسي خماري الأزرق، وتعلو

صرخات الرفض في تلك الزنزانة فتزيدني قوة على قوتي، وتلك الكدمات الزرقاء تنتشر فوق جسدي النحيل، فتذكرني بطعنة سكين ضربتها في صدر ذلك المحتل قبل عامين، ليعلو بها صوت الحق، وبيدي أخذت قراري بالرحيل إلى غياهب سجن لا يرحم، حتى يأتي فرج الله، ولم يكن ذلك الفرج ببعيد.

أعود الآن في صفقة لم تكن على الخاطر، وشك في اللحظات الأخيرة، بأن يسقط اسمي من قائمة المحررين، لكنها حقيقة الآن وليست خيالاً، بعيون دامعة انظر إلى كاميرات التصوير، أتلفّت يميناً ويساراً، أبحث عن قلب أم ثابتة كشجرة زيتون معمرة، لا تهزها الرياح، امسك بيديها، اقبل راحتيها، أمسح دموعها التي طالت عامين من السهر والبكاء، بصحبتها أعود اليوم إلي بيتي، إلى حجرتي، أقلب كتبي المنتظرة فوق الطاولة، أحتضنها ببطن لم يتذوق زاداً، منذ عشرين يوم خلت، منذ أعلنت الإضراب عن الطعام، حيث تعلمت كيف أختار الجوع سلاحاً حتى أموت أو انتصر، لا شيء يعلو في هذه الحجرة فوق صوت الحق، فوق دموع زملاء المعتقل، فوق صور الفرح المتناثرة في الهواء، ونظرات فرحة ممزوجة بالنصر، أحتضن أخوة ضاق فيهم الصبر والانتظار، وأم ترفع يديها ليل نهار، فبتلك الدعوات خرجت، وبتلك الدعوات صمدت، وبتلك الدعوات خلقت فرحة في قريتي الصغيرة تلك، قرية صفا الجميلة، فأنا الأسيرة الوحيدة هناك.

# أحنّ إلى عطرها!

**طه الشخشير**

بقلم: فيحاء شلش

خلف الزجاج المغبرّ والأشواك التي التصقت به عنوة، بقيت أراقبها تتمايل مع كل خطوة وتنظر خلفها علها تلمح «طلة» أخرى من وجهي، لحظات فقط حتى اختفت بين جموع الزائرين عائدة إلى الحافلة وهي تردد الدعاء لي بالفرج وتمسح عبرات تراكمت على طرف عينها محاولة التظاهر بالقوة.

أنا أعرفها جيدًا؛ فهي لا تحب أن تُظهر دموعها لأيٍّ كان، كانت ونحن صغارًا كلما أزعجها شيء جلست دون حراك حتى تمر الغيمة السوداء من فوقها، ولكن هذه المرة لمحتُ في عينيها حُرقة الحنان على قطعة من جسدها، رأيت أمًّا أنهكتها الزيارات ورائحة السجون وتنغيص الجنود، وفي الوقت ذاته قلبًا مشتعلاً على ابنٍ خُطف من حضنها وغُيّب تحت سطوة الحكم المؤبد.

في كل مرة تحين فيها الزيارة أستيقظ بنشاط غير عادي ولا أستطيع التوقف عن الابتسام، ويا للعجب أنتظر السجان كي يكبلني ويقيّد قدماي ويخرجني إلى نورِ الشمس المنقوص بين أروقة السجن، أتجاهل ما ينعتني به أو كيف يعاملني، فقلبي وعقلي يسبقانني إلى مكان الزيارة ووجه السيدة التي تشق الطريق إرهافًا كي تراني لبضع دقائق كل بضعة أشهر، أستمد منها روحًا أخرى مليئة بالأمل والفرحة الغامرة رغم الحزن الذي أقرأه بين عينيها في كل مرة.

في يوم ما حان موعد الزيارة، استفقت كعادتي في هذا «العيد» الخاص بي وشرعت بارتداء أجمل ملابس لدي، قميص أكمل عامه الثالث عندي وبنطالٌ لا أذكر كم رافقني في الأسر. انتظرتُ طويلا كي يأتي السجان ويمارس طقوس عنصريته، ولكنه لم يأتِ. انتظرت أكثر وبدأت أخاف من مجرد فكرة أن أمي لم تأتِ لزيارتي. شعرتُ بضيقٍ شديد وتعب مفاجئ وجلست على طرف السرير الحديدي القاسي وسافرت مع خيالي إلى نابلس وبيتنا القديم الجميل. فعلا لم تأتِ يومها لزيارتي ولا في الزيارة التي تلتها ولا التي بعدها.

في تلك الأشهر المريرة التي غُيّبت فيها عني صورة وجهها السمح كنت ألجأ لذكريات

آخر مرة رأيتها، حين بقيت أراقبها وهي تغيب عن ناظريّ وتدير وجهها إليّ ملوّحة في الهواء دون أن تراني، ولكنّ تحيتها المعطرة تلك وصلتني. علمتُ في زيارات لاحقة أن الوالدة تعبت قليلا فلم تستطع المجيء لرؤيتي، وبدأت عائلتي تسقيني جرعات التخدير بأن أمي ربما لن تتمكن من رؤيتي خلال فترة طويلة.

ربما أستطيع تسمية تلك الفترة بأعوام الحزن؛ فأن أحرم من رؤيتها طيلة هذه المدة كفيل أن يودي بحياتي أو شبيه بمنع الحواس من التحكم بجسدي. بقيت على هذا الحال حتى جاء يوم كاد حقًّا أن يهوي بي تحت ذرات الثرى!

بطريقة ما تحدثت إلى عدد من أشقائي، قالوا إن والدتي أعياها المرض، أصواتهم كانت متقطعة متحشرجة أنبأتني بأن شيئًا آخر يحدث. مجلد من الكلمات سردوه أمامي حول الصبر والبشرى التي تطال أصحابه. وبعدها عشرات الآيات تلوها على مسامعي حول فضل الآخرة ومتاع الدنيا. كنت أصغي دون تعليق وكأنني أنتظر صاعقة تنزل على روحي. فجأة انهار أحدهم وجهش بالبكاء وبقيتُ صامتًا. كنت في عالم اللاوعي وقتها وأردت لأرضية السجن العقيم هذا أن تنشقَّ وتبلعني قبل أن أسمع ما لا أريد سماعه. ولكن عبارة «عظم الله أجرك يا طه» شقت مسامعي كما يشق المنشار قطعة من الخشب إلى نصفين. بلى إنها الحياة وكم أتعبْـتِني يا حياة!

لم أدرِ من بين ردات الفعل المتاحة أمامي أيها أختار، تخيلتُ أنني صرخت عاليًا مناديًا لأمي تارة وأنني بقبضة واحدة هدمت جدار الزنزانة تارة أخرى، ولم ينجُ السجان من تخيلاتي في تلك اللحظة فدققتُ عنقه كما فعلتُ حقًّا منذ سنوات مع ضابط آخر. نفضتُ رأسي من التخيلات وشرعت بتناول مصحفي وقرأت آيات أنزلت شيئًا من الصبر على قلبي. ولكنني لا أكتم سرًّا حين أقول إنني ذرفت من الدموع في أيام قليلة كما ذرفت طوال سنين عمري وربما أكثر. لم أستطع استيعاب أنني أصبحت بلا أم، بل بلا روحٍ ولا هوية. لم أدرك أنني فقدتُ شيئًا مني وعطرًا ساحرًا كنت أعتاش على أثره. لطالما نفثتُ آهات على فراقها وأحسستُ بدوارٍ تمنيت لو يأخذني إليها. لطالما استفقت طيلة سنين بعد وفاتها والوسادة تقطر عبراتٍ لا أدري متى وكيف هربت مني!

# ليتني كنت مكانك!

**تيسير سليمان**

بقلم: فيحاء شلش

أحاول لملمة خيوط الذكريات حول تلك الأيام في ذهني، ورغم أنني أستذكرها بأدق التفاصيل إلا أن شيئًا في نفسي يشدني إلى عالم النسيان.

كان مضى على اعتقالي عدة أعوام عجاف لم أنسَ خلالها قسوة التحقيق؛ فالخلية التي كنت أقودها برعت في إثخان اليهود بالجراح في بيت المقدس حيث نشأتُ وكبرت أحلامي وتفتحت ورود أمنياتي. وفي يوم عادي كنت أمضيه لأحذفه من سلسلة مثقلة بالأيام الطويلة خلال حكمي المؤبد تم اعتقالي مجددًا من غرفة سجني ويا لغرابة هذه الجملة، واقتدت للتحقيق مجددًا بتهمة تنظيم خلايا أخرى أثناء فترة اعتقالي.

ربما لن أستطيع وصف المشهد بأكمله خلال أيام التحقيق الجديدة، فحتى الآن أستذكر ابتساماتهم الصفراء وإن كانت قناعًا لخوف أزليّ لا يمكن أن يغيب عن شخوصهم؛ أجساد ضخمة وأكفٌّ رسمت أثرها على وجنتيّ عدة مرات. صراخ كاد يخترق خلايا أذني وألوان من التعذيب حفرت على جسدي فيما بعد. أناتٌ أطلقتها في نفسي كي لا أُسمِعها لهم فيظنوها ضعفًا. سياطٌ من الظلم ألصقت نفسها على جلدي وتركت علاماتٍ لا تمحى. لم يكن يهمني كل هذا؛ فدعائي وتسبيحي المتكرر كان سلاحًا فعالا في وجه المحققين الذين أجزم أنهم كادوا يفقدون صوابهم، فلم أكرر طيلة أيام التحقيق القاتلة سوى عبارة «اسمي تيسير سليمان وفقط».

الجراح التي أثخنها المحققون في جسدي خلال تلك الفترة والتي سببت لي كسرًا في المفصل وإصابات في حلقي وجرحًا غائرًا في يدي، لم تكن على نفسي شديدة بقدر تلك الجملة التي هزت كياني، في بداية الأمر لم أكترث لها ولكنني تأكدت فيما بعد أن المحقق لم يكذب حين قال لي: «ستدفع أنت ووالدك الثمن». هل حقًّا أدخلوا والدي الوقور إلى التحقيق؟ وهل أذاقوه ما ذقتُ من ويلات؟ كادت التساؤلات تصيبني بالجنون!

اعتقال والدي والتحقيق معه جاء بعد يوم واحد من خروجه من المشفى عقب إجرائه عملية جراحية «فاشلة»، أي أن الخطر على حياته كان قائمًا وقتها، وهذا ما قادني إلى القلق

الشديد على صحته. بقيت أدعو الله أن يثبته ويحميه من جبروتهم ويبعد عنه كل شرورهم مع مشاعر كانت تداهمني بين الفينة والأخرى بأنني المسؤول إن حدث شيء ما له، ثم أطردها من ذهني بالاستغفار. ورغم الأمراض التي ألمت به وعذابات التحقيق إلا أنه لم ينطق سوى بجملة واحدة «أنا والد تيسير وهو ابني، وهذا كل ما لدي». اقتادوه يومًا إلى غرفة التحقيق التي كنت فيها، وعمدًا تم «شبحه» أمامي على كرسي مقيدًا لا حول له ولا قوة. رآني والدماء تملأ جسدي وكسور المفاصل ترهق عافيتي. ولكن لم يكن يهمّني سوى منظره الذي مزق كل عصب حي في جسدي وتخلل مشاهد الذاكرة كلما أغمضت عينيّ. كنت أحاول أن أهرب من صورته التي دقّت أنفاسي دون جدوى؛ فلقطة وجهه الحزين المتعب وعبراته التي تساقطت أحيانًا على حالي تعود لتستوطن عقلي وهي أمامي. كان يردد بصوت متقطع «سلامتك. سلامتك» ومع كل واحدة منها أكاد أجنُّ ألمًا عليه. حتى جاء يوم أخرجه المحققون من الغرفة ولمعت عين أحدهم وهو ينظر إليّ ويقول «لن ترى والدك مرة أخرى».

بعد جولات التحقيق المتكررة معي تم عزلي لسبعمائة يوم متواصلة وحرماني من زيارة الأهل لأربعمئة يومٍ أشعرتني وكأنني أعيش في عالم لا سقف له ولا جدران ولا أرضية. كنت أستكين لتخيلاتي وذكرياتي فتكون أمامي كالتلفاز أختار منها ما أشاء، وكنت أخشى عليها من التلاشي مع تكرار الأيام بالصورة ذاتها. كنت أحيانًا أبذل جهدًا كبيرًا في تذكّر وجوه أفراد من عائلتي. فيما لم تفارقني صورة والدي دقيقة واحدة مع غصّة تجتاحني كلما استذكرته.

في يوم ما وأنا مثقل بعزلتي كنت أستمع لبرنامج إذاعي يتحدث فيه أهالي الأسرى علّ أبناءهم يسمعون أصواتهم فترتوي القلوب الظمأى. ومن بينها خرج صوت حنون دافئ غمرني بمعاني الحياة ورسم بسمة على جدران القلب دونما أشعر. أصغيت السمع جيدًا وأطرقتُ أذناي عليّ أتلمس الصوت أكثر وأدخل في ثناياه. هي والدتي التي جُرحت أيّما جرحٍ لاعتقالي وسُلبت أبسط حق تجاه جسد خرج منها فكان قطعة لا تُنسى. آهٍ كم اشتقت لكِ يا حنون وكم قرصتني الأيام حنينًا وتوقًا لم أعرف معناه إلا في سجني. تخيلت وكأنني أكلم المذياع وأصرخ دون صوت كي تسمعني وتعرف أنني تسلمتُ صدى صوتها فأخذني إلى عالم ورديّ.

ولكنّ نشوة الحنين تلك لم تدم طويلاً. فبعد انتهاء مكالمتها قال المذيع كلمات دقت قعر سمعي وذهني وكل حواسي. «نتقدم إلى الأسير تيسير سليمان بأحر التعازي لوفاة والده». وكأنني لم أسمع حينها ولم أرَ شيئا، أوهمت نفسي أن الكلمات التي قيلت ليست لي

ولم تكن سهامها موجهة نحوي. قولوا شيئًا آخر. أرجوكم، قولوا إنه بخير ويدعو لي وسيأتي لزيارتي. قولوا إنكم تختبرون مشاعري فقط. قولوا إنه لم يمت ولم يتركني دون وداع. أي شيء غير هذا الموت الزؤام أخبروني.

غرقت في دموعي لبعض الوقت واستسلمت للخبر القاتل. انتهى البرنامج كما انتهت أنفاس قلبي الحزين وجعًا على رحيل والدي. عادت تلك المشاعر بأنني المسؤول لمداهمتي ولكنني بددتها ونجحت في ذلك فكل شيء قضاء وقدر. احتسبته شهيدًا في سبيل الله، وهذا ما أنزل السكينة على قلبي مع آيات من كتاب الله ألهمتني الصبر، كانت صورته ضخمة في مخيلتي لا تفارقها لحظةً، بينما كلماته دقت غرف العقل والقلب حين كان يصبّرني ويثبتني بقوله «أنت فارس لا يترك سلاحه، اصبر وصابر فأنت مؤمن بما فعلت ولن تكون من النادمين». يا قطعة من نفسي. سامحني. أنا لن أنساك ما حييت. مسحتُ عبراتي وقطعت عهدًا أن أكون بإذن خالقي عمله الذي لا ينقطع في الدنيا.

لندن، ١٠ سبتمبر ٢٠١٢ "مسيرة تضامن مع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. يظهر في الصورة متظاهرون يرفعون لافتات للأسير الفلسطيني حسن الصفدي الذي قضى تسعة أعوام في الاعتقال الاداري وخاض إضرابين مفتوحين عن الطعام لمدة ١٦٨ يوم."

تظاهرات نظمتها حملة دعم الأسرى الفلسطينيين (www.inminds.com). لمزيد من المعلومات تصفح الموقع الإلكتروني للحملة www.inminds.com/caged.

# وشدّتني «أوجاع» الحرية

**حسن الصفدي**
بقلم: فيحاء شلش

ليلة صيفية بان فيها القمر حزينا متشحا بسواد بعض الغيوم التي اجتاحت سماء تفكيري، كنت أحلق نظري في نجوم معلقة وذهني يهرب إلى أصوات آليات اجتاحت هي الأخرى مساحة منه قبل أن تطوق أنفاسي وتحاصر أحلامي التي بنيتها عقب تسع سنوات من الاعتقال المتفرق.

ربما كان الاعتقال ذاك الحلقة الأخيرة من سلسلة غضبٍ كوّنتها زنازين العتمة في نفسي وحفرتها أصفاد القهر في روحي كل يوم بألف مثله أو يزيد، فقبله اعتقلت لأربع سنوات دون تهمة ولا ملف ولا قضية ومكثت أكابد الاعتقال الإداري؛ وما هو إلا حبل مشنقة حول عنق الأسير يحاول سلب أنفاسه وكرامته مع كل تجديد ظالم لا داعي له.

هذه المرة أيضا قرر المحتل أن يضعني في قفص الإداري المقيت؛ وقتها صرخت بأعلى صوتي رافضا وكأن عروق الدم بداخلي انتفضت وضخّت معاني التحدي إلى كل جزء حي مني، وفي محاولة للتخلص منه بدأت أوجه رسائل إلى المؤسسات الحقوقية والإنسانية أبلغهم فيها مدى الظلم الذي يغمسني فيه السجان بإعادتي إلى كابوس الإداري وتجديده كلما انتهت مدته وكأنها لعبة الموت التي يتراقص فيها القاضي على جراحي.

بالطبع لم أتلق أي رد ولم تُجدِ محاولاتي «القانونية» في رفع ثقل الاعتقال دون أي مبرر، بقيت في زنازين الغدر أحاول تلمس طريق للحرية من أبواب السجن تخرجني إلى نور الحياة بلا ترهيب ولا تخويف، حينها تسللت إلى خاطري فكرة خوض معركة الكرامة علها تكون سلاحي وأنا الأعزل وتكون دوائي وأنا العليل.

بدأت فعلا في خطوة الإضراب عن الطعام تغذيني الإرادة وتشجعني خيوط الحرية وبقية أمل في نفسي أن يستجيب المحتل لمطلبي، مرت الأيام وكأنها الدهر بأكمله وأنا أتشبث بحقي في الحرية وإن كانت في ضفة سجينة تثخنها جراح التهويد، كنت أظن في البداية أن الأمر سيستغرق أياما أو أسابيع قليلة إن طال أمده، ولكن تعنت الاحتلال خلق في نفسي تحديا من نوع آخر كانت الشهادة على أحد جانبيه والتحرر على الجانب الآخر.

تظاهرات نظمتها حملة دعم الأسرى الفلسطينيين (www.inminds.com). لمزيد من المعلومات تصفح الموقع الإلكتروني للحملة www.inminds.com/caged.

لا يمكن أن أنسى ما حييت تلك الأيام التي أخذت من عمري ثلاثة أشهر دون طعام ولا شراب، كان غذائي التسبيح دوما وشرابي ماء وملح ودعاء لا ينقطع، كما لن أنسى نظرات الضباط الصهاينة لي وكأنهم يريدون قتلي بها؛ ولكنني لن أغفل كذلك نظرتي في المقابل لهم وأنا الحر بقيدي وهم السجناء بجبروتهم.

مرت الأيام طويلة قاسية ذقت خلالها أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي؛ ومع طول أمد الإضراب كنت أتقيأ دما ولا أقوى على المشي ولا الحراك وشعرت بضعف في النظر والسمع، وفوق ذلك كنت أنقل إلى مقبرة الرملة وأتعرض للإهانات، وفي يوم لم أسكت لإذلال أحد السجانين ورددت بكلمات قوية لم أدر كيف خرجت من جسدي الهزيل فدفع الكرسي المتحرك الذي أجلس عليه وأوقعني أرضا وأخذت الآلام تخط طريقها.

كنت في مرحلة لا يمكن أن أتراجع عندها ولا طريق أمامي سوى الحرية أو الشهادة؛ هكذا أوصلت الرسالة واضحة للشاباك الذي يحاول قتل حياتي بتكرار اعتقالي دون تهم وأصرت روحي على الانتصار رغم أوجاع لم أتخيل أنها ستدك خلاياي، وضعوني في قسم الجنائيين تارة وفي زنازين العزل تارة أخرى لا أعلم فيها متى يبدأ اليوم ومتى ينتهي ولا حتى موعد صلاة أنفث خلالها همومي.

وحين هدد الموتُ بقبض روحي وهيأ جسدي أركانه للرحيل باعتراف المحتل نفسه؛ لاح الفجر في أفق معركتي وأنا على سرير مشفى مغلق لا يحمل معاني الرعاية الطبية. أبلغني المحامي بعد ١٦٦ يوما من الأمعاء الخاوية أن السجان رضخ لمطلبي بالحرية. ورغم أن فرحتي تآكلت بمخاوف نكث العهد إلا أن لساني لم يتوقف عن شكر الله وحمده.

بعدها سطرت انتصاري على جدران السجون وتحررت تملأني عزة الفلسطيني وابتسامة الواثق بنصر من عند الله.

# سراديب الأمل

**ياسر حجاز**
بقلم: فيحاء شلش

بعض الشيب لاحظته يجتاح رأسي كلما نظرت في المرآة الصغيرة المخدوشة، بينما وزني نقص قليلاً خلال الأشهر الأخيرة ربما بسبب خوضنا الإضراب المفتوح عن الطعام لعدة أيام، أما ملامحي فلم تتغير عن يوم اعتقالي قبل أعوام بل زادها السجن هدوءًا وحدّة.

هناك في مربعات الاحتجاز المتراكمة بثقلٍ فوق صدر الأرض المسروقة كان الشعار مرفوعًا لديهم بالقتل البطيء، هم لم يذكروا الأمر علانية بل دلت فعالهم على ذلك. تراهم يمتصون كل إرادة ويحاولون حشرها في زاوية مظلمة أو خنق أنفاسها، يكبتون أي خيوط للأمل ويفرقونها بعيدًا عن فراغ الذكرى وحنين الأوطان، يسرقون لحظات النور ويدسونها في صدأ السلاسل.

لم يكن السجن بالنسبة لي ولحكمي المؤبد سوى شيء عابر اختلط بسنين العمر فصبغها بشيء من التحدي. وذاك ازداد في نفسي كلما شعرتُ بمحاولاتهم البائسة لفرض اليأس على حواسّي. شردتُ بذهني ذات يوم بعيدًا عن أسوار السجن وأغلاله وحقده وسواده وحطت بي الأحلام إلى عالم من المثالية والإشراق والحياة المزهرة. فكرت كثيرًا كيف من الممكن أن أستحضر شيئًا من حلو الحرية إلى مرّ القيد، وكيف أنسج حكايات الأمل لإخواني الأسرى بينما يقارعون جرعات الموت الزؤام في الزنازين، وكيف أكسر أسطورة السجان العقيمة دون سلاح؟!

حينها لمعت الفكرة في رأسي وقررت أن أبدأ مشواري وإن كان صعب المنال، اخترت أن يكون سجني مكانًا للإبداع والتحدي بدلا من أن تضفى عليه عبارات اليأس والمشقة. قررت أن يكون الكتاب رفيقي فيسمو بي إلى مدارك العلم التي جهلتها لأعوام؛ فأحقق ذاتي دون كلل أو ملل. وبالفعل شققت طريقي هذه وبدأت أنهل من ما توفر لدي من أمهات الكتب وإن كان يسيرًا جدًّا. التحقت بالجامعة العبرية الباب الوحيد الذي كان مفتوحًا أمام طلاب العلم من الأسرى. لم أوفر جهدًا في قراءة الكتب وأخذ الملاحظات والعودة إلى الدراسة حرفيًّا.

بالطبع ورغم الأجواء التي فرضتها على نفسي داخل الزنازين إلا أن السجن يبقى يسيطر على مجريات الحياة وتفاصيلها، وحتى خلال سنوات الدراسة لأنال شهادة جامعية كان السجان يستغل كل دقيقة لتسريب اليأس إلى قلبي ولم يفلح، كان يتعمد نقلي من سجن إلى آخر ومن زنزانة إلى شقيقتها كي يعكر صفو تركيزي ويجبرني على التراجع، وفي بعض الأحيان كان يحاول إخماد عزيمتي بثقل العزل المرير وأصفاد الاعتقال بقسوتها. كل ذلك لم يوقف أمواج التحدي في نفسي وإصراري على طلب العلم ولو كنت مكبل الأنفاس حتى.

واصلت مسيرتي في دراسة التاريخ والعلوم السياسية والتي استمرت سبع سنوات متواصلة، تخللتها تضييقات الإدارة المقيتة ومحاولاتها زرع الرهبة في قلوبنا عبر وسائل عدة لم يغب عنها الحرمان من تسجيل فصل بعينه في الجامعة العبرية أو منع الكتب وأدوات الدراسة الأخرى والتي كانت فقيرةً بحجمها غنية جدًّا في نظري. وفي المقابل لم أدع متنفسًا لليأس أو الكلل أن يغزو روح الإصرار التي ملأت خلاياي. كنت أسهر ليلا بأكمله وأحرق نهارًا في التهام الكتب وملء الأوراق بكتاباتٍ سافرت بي إلى معاني الإبداع حتى نلت أخيرًا ما أردت وحصلت على شهادة جامعية بفضل الله عليّ.

وقتها أحسست أن السجن تافه لا يقوى على شيء، وأن القيود بقسوة آثارها لا تخترق إلا الجلد فينا، وأن الحكم وإن كان ضربًا من الخيال فقليل من التحدي يذيب سطوته. يومها نظم لي إخواني الأسرى احتفالا بسيطًا شعرتُ فيه وكأنني قطعت أشواطًا من الثقة والانتصارات. ويومها أيضًا شردتُ بذهني مرة أخرى لا يحدّ من طموحي عزل ولا حرمان ولا تضييق. فقررت من جديد أن أصعد أكثر في سلم العلم وأحصل على شهادة الدراسات العليا فكان لي ذلك بعد سبع سنوات أيضًا من الجهد المضني والعذاب المتوّج بلذة التحدي على الاستمرار والتخطي لكل المحاولات المعتمة لنزع إنجازي كحرماني لعام كامل من التسجيل للدراسة ونقلي لظلمة العزل وسحب أوراقي مني وتشتيتي في أكثر من معتقل خلال تلك الفترة.

ولكنني بحمد الله تجاوزت كل المحن وصنعت منها منحة العلم البرّاقة وحصلت على شهادة الدراسات العليا قاهرًا سجاني بسلاح أقوى من جبروته. استطعت اختراق سراديب الأمل وتحويلها إلى حقيقة ماثلة كم أشعلت التحدي لدى آخرين قرروا صنع أسطورة تحدٍّ جديدة.

# رسالة الأسير حسن سلامة

حسن سلامة أسير فلسطيني من خانيونس، أعتقل على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي في الخليل عام ١٩٩٦، وحكم بالسجن المؤبد ٤٦ مرة (السجن المؤبد ٩٩ عام للأسير الأمني). قضى ١٣ عاماً في العزل الانفرادي.

الأحبة الكرام

يا من تسكنون في العالم الذي لا نعرفه، من زمن تلك الرسالة الأولى، التي وصلتكم من مقابرنا في عزلي في سجن «أيالون» الرملة فاتحا لكم قلبي الذي حدثكم عن عالمنا عالم الأموات، عالم المعزولين في مقابرنا الخاصة التي فصلت لنعيش فيها الحرمان والنسيان، عالمنا الذي يتوسط بين الحياة والموت وإن كان للموت أقرب حتى إنه يحلو لبعضنا أن يطلق عليه عالم البرزخ.

رغم ذلك وصلكم صوتنا يحدثكم عن أوضاعنا وأوجاعنا وآلامنا، لا لننال شفقة علينا ولكن لنتقوّى بكم، ونشعر من خلالكم أننا ما زلنا ننتمي لكم، ولو عبر رسالة هي كما أخبرتكم دليلا شاهدا على أننا ما زلنا أحياء، فإن وصلتكم رسالتي هذه، وهي الثانية من عالمنا ومن داخل مقابرنا، في عزل عسقلان، فهي دليلنا الثاني على أننا ما زلنا أحياء في عالم الأموات، في هذه الرسالة وعبر هذه الكلمات لن أحدثكم عن أشواقي لحياتكم التي لا نعرفها.

عن شمسكم هل ما زالت تشرق كل صباح ولها غروب! وهل ما يزال الشفق أحمر وقت الأصيل! أتذكر أنني كنت أرقبها في الماضي البعيد وقت الغروب، وأقف أمام البحر وهي تختفي. وقتها كنا نقول ابتلعها البحر. فهل ما يزال البحر قادرا على ابتلاع الشمس؟!

عن القمر، هل هو جميل أم أنكم تعيشون مثلنا بلا قمر ولا نجوم وبلا غيوم؟! لكننا ما زلنا نسمع صوت المطر فيعود بنا إلى تلك الأيام الجميلة يوم كنا نلعب وحباته تتساقط علينا. كنا صغارا وكانت لنا أغانينا الخاصة للمطر!

صلاة الجمعة هل ما زالت تقام في عالمكم. فأنا لم أصلها منذ سنوات، لكنني ما زلت أتذكرها وأتذكر هذا اليوم الجميل، وما زلت أيضا أشتاق لصلاة الجماعة التي أصليها لوحدي، فهل أنال الأجر؟!

الأعياد. هل زاد عددها عندكم! كنت أتذكر في ذلك الزمان عيد الفطر وعيد الأضحى. فأنا منذ سنوات رغم وجودي، في عالمي الخاص الذي يبعد كثيرا عن عالمكم ويختلف عنه في كل شيء،

أحتفل بنفسي في هذه الأعياد، وأستيقظ باكرا بعدما أصلي الفجر، أجلس أمام باب قبري وأبدأ بالتكبير. فلا أسمع إلا صدى صوتي يؤنس وحدتي. وبعد الصلاة ينتهي عيدي، وأعود لحياتي، وأتناول حلويات أصنعها من الخبز والسكر!

أشواقنا كثيرة وأحلامنا جميلة. وعالمنا خصص ليقتل الحياة فينا، بل ويريدون فوق ذلك مسح ذاكرتنا وإلغاء ماضينا، حتى نصبح بلا حركة. بلا أرض بلا وطن بلا فلسطين، أغبياء هم أغبياء لأنهم يجهلون أننا معجونون بحب تراب هذه الأرض. فلسطين.

أما ما سأحدثكم عنه، في هذه الرسالة، فهو شوق من نوع آخر لمعاناة من نوع خاص، فهل تصدقون أننا نشتاق أن ننام، ونعاني أننا لا ننام مثلكم، رغم أن عالمنا قائم على النوم الذي يوصل إلى الموت البطيء، ومع ذلك فهذه معاناتنا!

هو قبر صغير يعيش كل منا في داخله معزولون متجاورون أو متقابلون، لهذا القبر باب مغلق تماما. ولهذا الباب في أعلاه طاقة صغيرة، وهي مغلقة أيضا تفتح هذه الطاقة وتغلق من الخارج، ومع هذه الطاقة تكمن معاناة منعنا من النوم. فهي تفتح وتغلق طوال الوقت بيد السجان. نهارا ليلا. كم مرة لا أدري لكنها مرات كثيرة في الساعة الواحدة.

يراقبوننا من خلالها ويتحدثون إلينا عبرها. ورغم صغرها عليها قضبان من الحديد، هذه الطاقة ولأنها من حديد، فمهما حاولت فتحها بهدوء يكون صوتها عاليا جدا، داخل قبر، فكيف وهي تفتح وتغلق بكل حقدهم وكرههم وعنصريتهم وساديتهم.

لكي تعلموا أصلا مقابرنا التي نعيش فيها، هي من ضمن مقابر يعيش فيها أسرى جنائيون يهود. معظمهم موجودون على قضايا مخدرات. وعملهم الوحيد الطرق على باب المقابر والصراخ والسب والشتم. بشكل مستمر للحصول على ما يهدئهم من أدوية، لكننا مع الفترة نتعايش مع هذه الضجة ونعيشها كموسيقى، خاصة إن كانت من أسرى يعانون حتى ولو كانوا يهودا جنائيين.

بالرجوع إلى الطاقة التي تبدأ معاناتنا معها، في صباح اليوم حتى صباح اليوم الثاني، على مدار الساعة، وتزداد هذه المعاناة ليلا، والسجانون يتفننون في فتحها وإغلاقها، بكل قوتهم. ولا يكتفون بذلك بل يسلطون ضوء بطارياتهم الليلية على وجوهنا، حتى يتأكدوا أننا لم نزل في مقابرنا.

أذكر في الشتاء ومن شدة البرد، اختفيت داخل الغطاء وفي جولات السجان الليلية، وبعد طرقه الشديد. أضاء القبر ببطاريته وأخذ يبحث عني، ولكي أرتاح أخرجت له قدمي

من تحت الغطاء ووصلته الرسالة فتركني وغادر، ولكن بعد أن أغلق الطاقة بساديته المعهودة، فما رأيكم لو أجريت تجربة في عالمكم؟! وقتوا ساعة نومكم أو مذياعكم أو التلفاز الذي يخصكم أو جوالكم وقت خلودكم للنوم، ليسمعكم كل نصف ساعة موسيقى جميلة، وليكن ذلك في اليوم أو أكثر أو أقل وليس لسنوات. أخبروني إن أردتم كيف كان نومكم وكيف كانت أحلامكم؟!

عيشوا معنا قليلا، وتصورا أن هذه حياتنا لسنوات. فأحلامنا كنومنا مقطوعة ومتقطعة، ونأمل أن يكون وصلها قريبا.

بجانبي، أو بجانب قبري، قبر لسجين أمني مثلي، لكنه مريض نفسي يعرفني جيدا من سنوات العزل، يوم أن كان سليما، ينادي عليّ كثيرا وأنا أعلم أنه لا يعي شيئا، وأعلم أنني إذا أجبته سيكيل لي السباب والشتائم، لأنه مريض، ولكنني لا أستطيع إلا أن أجيبه عندما يناديني باسمي، حتى يسبني فقد يخفف عنه ذلك وحشته، ويخفف عني من ألمي، الذي أشعر به، لأنني لا أستطيع مساعدته، هو مقيد في قبره هكذا يعالجونه بتقييده. يقتلونه كل يوم بعلاجهم له كمريض بعزله، في قبر يمرض فيه السجين. فدعواتكم له فهو يحتاجكم.

مع كل هذه الأجواء لا زلت أشتاق للنوم، وقد أتمكن لأنني أشتاق لأن أحلم، وأريد أن أحلم، وحلمي بسيط ومتواضع أن أنام ساعة بشكل متواصل، غير متأكد من تحقيق حلمي، لكنني على ثقة بالله أن الفجر قادم، النصر قادم، التحرير قادم.

ولأنكم في عالمكم مشغولون حتى عن أنفسكم. كان الله في عونكم، سأدعو لكم، لكن هل عندكم دقيقة للدعاء لنا!؟

أخوكم المعزول في العالم المجهول بالنسبة لكم

حسن سلامة

خرج الأسير حسن سلامة من العزل الانفرادي بعد الإضراب الجماعي عن الطعام الذي خاضه الأسرى عام ٢٠١٢.

يمكن إرسال رسالة لحسن سلامة عبر اللجنة الدولية للصليب الأحمر من خلال مراسلة أخيه على البريد: akram.salama@hotmail.com

# مركز الدراسات السياسية والتنموية

هو مركز فلسطيني مستقل للدراسات السياسية والإعلامية والتنموية، غير ربحي، تأسس عام ٢٠٠٩ في مدينة غزة، بمبادرة من بعض الأكاديميين والخبراء والمختصين في مجالات السياسة والفكر والثقافة.

ويُعنى المركز بـدراسة الشؤون السياسية والإعلامية والمجتمعية والاقتصادية والتنموية الفلسطينية، كما يسعى إلى زيادة الوعي لدى المجتمع الفلسطيني وإبراز الوجه الحضاري والدور التاريخي للشعب الفلسطيني وإثراء الدراسات والأعمال البحثية العلمية وتشجيع الأنشطة الثقافية ذات العلاقة بعمل المركز وتشجيع المبادرات الإبداعية الشبابية.

**الرؤية:**

إثراء البحث العلمي، وتقديم الأفكار الإبداعية والخلاقة التي تساهم في دعم القضية الفلسطينية ونصرة الشعب الفلسطيني وإعداد الكوادر، ونشر الثقافة، وتعزيز التواصل مع المجتمعات الأخرى.

**الرسالة:**

تشجيع البحث العلمي في المجالات السياسية والتنموية والثقافية والعلوم الإنسانية، وبناء الكوادر البحثية، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وتعزيز التواصل مع الثقافات والمجتمعات الأخرى، وإبراز الوجه الحضاري لفلسطين والفلسطينيين، والتعريف بالقضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني.

**السياسات العامة للمركز:**

١. الاستقلالية والحيادية وعدم الخضوع لأية جهة كانت رسمية أو غير رسمية.
٢. إعداد الدراسات وتقديم الاستشارات لخدمة المجتمع، والحقوق والقضايا الوطنية والعربية والإسلامية.
٣. الالتزام بالمنهجية العلمية والموضوعية، وتحري الدقة في جمع المعلومات وتحليلها وتوظيفها، والتركيز على العمل النوعي الجاد.
٤. التعاون والتكامل، والتنسيق مع المراكز والمؤسسات ذات الاختصاصات المتشابهة.
٥. الانفتاح على كافة الأفكار والمستجدات والتوجهات الفكرية والسياسية والحضارية في العالم.

٦. عدم قبول أي معونات مالية أو عينية مشروطة تؤثر سلباً على توجهات المركز ورسالته وأهدافه.
٧. تبني الكوادر الشبابية الواعدة والمبادرات الإبداعية المنسجمة مع سياسات المركز وأهدافه.

## أهداف المركز:

١. توعية الرأي العام الفلسطيني بالقضايا الوطنية والسياسية والمجتمعية والتنموية.
٢. تقديم رؤى وتوصيات للجهات المعنية الفلسطينية في الشأن السياسي والتنموي.
٣. تدعيم الحريات العامة وحرية الرأي والتعبير والدفاع عن حقوق المواطن الفلسطيني.
٤. الارتقاء بالمستوى المهني والثقافي والتوعوي للصحفيين والإعلاميين.
٥. تأهيل وتدريب الكوادر السياسية والإعلامية للقيام بدورهم النهضوي.
٦. المساهمة في الحفاظ على السلم الاجتماعي وحقوق الإنسان والحقوق الفلسطينية.
٧. تطوير دور المرأة الفلسطينية والشباب في المجتمع.
٨. المساهمة في تنمية المجتمع الفلسطيني.
٩. المساهمة في تطوير الحوار بين الحضارات والأديان والشعوب.

## آليات ووسائل العمل:

١. إجراء الدراسات السياسية والإعلامية والتنموية والمجتمعية الفلسطينية التي تخدم القضية الفلسطينية.
٢. عقد الندوات وورش العمل والأيام الدراسية والمؤتمرات.
٣. إجراء المسوح والاستطلاعات المختلفة للجمهور والرأي العام.
٤. استقبال الوفود الفلسطينية والعربية والدولية ذات العلاقة وتبادل الخبرات والأفكار معها.
٥. إصدار مجلة دورية بحثية متخصصة في الشؤون السياسية.
٦. ترجمة الكتب والأبحاث والدراسات السياسية والثقافية، والتاريخية، والاقتصادية التي تنسجم مع سياسات المركز.
٧. إقامة الفعاليات والنشاطات والملتقيات والمؤتمرات البحثية المتخصصة.
٨. تنظيم الدورات التدريبية لبناء الكوادر الفلسطينية التي تتلاءم مع طبيعة عمل المركز وأهدافه.
٩. إقامة المعارض والتظاهرات الفنية الدائمة والمتنقلة التي تخدم القضايا الوطنية.

١٠. توطيد علاقات المركز مع مراكز الدراسات المحلية والعربية والدولية والداعمين لأنشطة المركز.
١١. تنفيذ المشاريع والأنشطة التي تحقيق غايات المركز.
١٢. التعاون مع الجهات الحكومية والأهلية الفلسطينية والعربية والدولية بما يحقق أهداف المركز.
١٣. دراسة المجتمع والأوضاع الإسرائيلية.
١٤. دراسة القضايا والشئون الدولية التي تؤثر في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والعربي الإسرائيلي.

# شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين لإنجاز هذا العمل. أرسل لي د. محمود الحرثاني، الرئيس السابق لمجلس إدارة مركز الدراسات السياسية والتنموية عام ٢٠١٢ مقابلات أجريت مع أسرى محررين وطلب مني نشرهم في كتاب. ونشرت المقابلات قبل ذلك في صحيفة الشباب في غزة، فلسطين في ٢٠١١ بعد الصفقة التاريخية التي تم بمقتضاها مبادلة ١,٠٢٧ أسير فلسطيني بالجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط.

كنت حينها قد أجريت عملية جراحية في العين ولم أكن مستعدة للبدء في مشروع عمل كتاب، ولكن بعد قراءة قصص الأسرى شعرت أنه من المهم إسماع صوتهم للعالم، وتوثيق قصصهم للأجيال القادمة. وبدأت العمل على المشروع في العاصمة الماليزية كوالالمبور بمساعدة يوسف الجمل من غزة.

ونشرت النسخة الإنجليزية من المذكرات والتي تحتوي ٢٢ مقابلة في أبريل ٢٠١٣.

وتحتوي النسخة العربية من الكتاب على كامل القصص وعددها ٤٣ عرفاناً للأسرى الفلسطينيين الذين يعانون تحت الاحتلال كل يوم، إلا أنهم لا يزالون صامدين.

بالإضافة إلى يوسف، ساعد الكثير من الأشخاص ودعموا جهدي لإخراج هذا الكتاب إلى النور وعلى رأسهم مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان ووزارة الأسرى والمحررين في غزة وروزيني أمين ولاو سيونج شاي، وأصدقائي في منظمة «فيفا بالستينا-ماليزيا»، وزوجي أزمان يحيى. أسأل الله أن يبارك فيهم جميعا.

«حتى يبدأ الأسود في كتابة قصصهم، سيظل المطاردون دائماً الأبطال» (مثل إفريقي)

نورما هاشم

أبريل ٢٠١٤

# شكرٌ وعرفان لأصحاب الصور

نود أن نشكر كل من ساهم من خلال الصور المستخدمة في هذا الكتاب

شهد ابو سلامة على الرسم في صفحة 5
http://palestinefrommyeyes.wordpress.com/author/shahdabusalama

مؤسسة الضمير لدعم الأسرى وحقوق الانسان على الصور في الصفحات: 10، 18، 22، 42، 68، 70، 96، 98 و 116 www.addameer.org

مركز الدراسات السياسية و التنموية على الصور صفحة : 26، 46 و 74
وصور الأسرى الشخصية في بداية كل مذكرة من صفحة 21 حتى 81

www.bokra.net صورة صفحة 35، 57 و 84

جو كيترون، صورة صفحة 27، 58، 95 و 113

مركز المعلومات الفلسطيني، صورة صفحة 31

www.farfesh.com صورة صفحة 38

وزارة شؤون الأسرى في غزة على الصور في الصفحات: 41 و 44

صحيفة المصري اليوم صورة صفحة 48

إذاعة صوت الأقصى صورة صفحة 50 و 101

www.psnews.ps صورة صفحة 66

www.paldf.net صورة صفحة 72، 133 و 135

خالد الكحلوت، صورة صفحة 78

شبكة أخبار القدس صورة صفحة 80

www.alalam.ir صورة صفحة 85

أحرار ولدنا صورة صفحة 87

www.inminds.com صورة صفحة 89، 100، 138 و 140

Anne Paq ActiveStills صورة صفحة 90

Alandolu News Agency صورة صفحة 92

www.alray.ps صورة صفحة 93

JBCNews صورة صفحة 99

Alquds TV صورة صفحة 103

Eva Bartlett صورة صفحة 105

Paltoday صورة صفحة 107

www.alabadla.com صورة صفحة 109

Alqudsnews صورة صفحة 114

محسن كيلبي، صورة صفحة 118 © حقوق النسخ محفوظة

Youth for Aqsa صورة صفحة 122

www.abrrar.net صورة صفحة 124

Saraya صورة صفحة 126

www.qudsnet.com صورة صفحة 139

Ahrarwledna صورة صفحة 141

www.alray.ps صورة صفحة 143

www.hanein.info صورة صفحة 145

Blank

”اعترافات أشد رعباً عن معاملة إسرائيل للفلسطينيين؛ هذا المرة من وراء القضبان وبالتناسب مع سياساتها التوسعية اللاإنسانية في الضفة الغربية والحصار المفروض على قطاع غزة.“

– **الدكتور موسى محمد نور الدين**، رئيس منظمة «فيفا بالستينا»، ماليزيا

”أبكتني مذكرات الأسرى على الفور تقريبا. هذا الشهادات المباشرة من ناجين من المعتقلات الإسرائيلية وزنازين العزل الانفرادي تجعل الفكرة بالغة الأهمية. عشت كل لحظة من الغلاف للغلاف. وكذا ستعيش أنت. السؤال الذي يطرح نفسه «ماذا نفعل الآن وقد عرفنا الحقيقة؟“

– **لورين بوث**، مذيعة، صحفية وناشطة مؤيدة لفلسطين